

التحديات الحضارية التي تواجه الأمة الإسلامية

في القرن الحادى والعشرين

بقلم الدكتور / رأفت غنيمى الشيخ (*)

تقديم :

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله «صدق الله العظيم» .

بناء على توجيه معالى الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية ، وكل من معالى الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ونائب رئيس رابطة الجامعات الإسلامية والأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام على الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية . فقد قبلت تكليف الأمانة العامة للرابطة للعمل مقررا للجنة التحديات الحضارية .

وخلال الفترة الممتدة من اجتماع المجلس التنفيذى السابق بمقر الرابطة الجديد بجامعة الأزهر نشطت اللجنة فى عقد اجتماعاتها سواء بمقر اللجنة بمعهد البحوث والدراسات الأسبوعية جامعة الزقازيق أو بمقر الأمانة العامة للرابطة بجامعة الأزهر كما تلقت أوراق عمل من بعض الأخوة من داخل مصر وخارجها مثل ورقة العمل التى قدمها الأستاذ الدكتور محمد أبو الفتوح شريف عميد كلية التربية بدمياط جامعة المنصورة ، والأستاذ الدكتور محمد فاروق نيهان رئيس دار الحديث الحسينية بالرباط المملكة المغربية وغيرهما .

وقدمت اللجنة من خلال اجتماعات أعضائها وبحوثهم وأوراق العمل التى قدمت تقارير متتالية لأمانة الرابطة تضمنت أفكارا تخدم خطة الأمانة العامة فى استجلاء التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى فى القرن المقبل - الحادى والعشرين .
الوضع الحالى وواجب الجامعات الإسلامية نحو هذه التحديات . وفى هذا التقرير لعلنا نرى
الوضع الحالى للتحديات الحضارية لعلنا نكون قد وفقنا الله لعرض جهود اللجنة . والله
ولى التوفيق .

(*) عميد معهد الدراسات الأسبوعية - جامعة الزقازيق .

ويمكن استعراض البحوث وأوراق العمل فيما يلي :

أولاً : الجذور التاريخية للتحديات الحضارية التي واجهت العالم الإسلامي :

يتضمن هذا البحث الموضوعات الآتية :

(١) أسس الحضارة الإسلامية :

١ - عدم التناقض بين العقيدة والفكر :

أهم ما يميز الإسلام أنه لا يقيم أى حواجز بين العقيدة والفكر الإسلامى ، والقرآن الكريم ملىء بالآيات التي تتناول المعرفة فى مختلف فروعها وتوجه الإنسان المسلم إلى التعمق فى أغوارها والبحث فى أدق تفصيلها .

لم يكد يأتى القرن الرابع الهجرى « العاشر الميلادى » حتى كانت الحضارة الإسلامية قد وصلت أوج عظمتها وكان من بين رواد العلوم العقلية علماء من مختلف الشعوب التي اعتنقت الدين الإسلامى فى المشرق والمغرب الإسلاميين .

لقد أتاحت هذه السمة الواضحة للعقيدة الإسلامية أن يعتنق العديد من ملايين البشر الديانة الإسلامية ، بل أن نطاق معتنقى هذه العقيدة تخطى الحدود السياسية للدولة الإسلامية داخل الصحراء الأفريقية وعلى سواحلها الغربية والجنوبية وفى أعماق القارة الهندية والسواحل الجنوبية والشرقية لآسيا وهى كلها من المناطق التي لم تطأها قدم جندي إسلامى واحد ولم تضمها أرجاء الدولة الإسلامية الشاسعة .

٢ - الاعتراف بالديانات الكتابية السابقة :

كان اعتراف الإسلام بالرسالات والكتب السماوية السابقة عليه واعتبارها من التنزيلات الالهية ، واحترام وتقدير رسلها وأنبيائها من بين العوامل التي حبيت الكثيرين من أصحاب هذه الديانات فى الإسلام ، وتوجيههم إلى اعتناقه والأخذ بمبادئه ، فلم يحاول الإسلام أن ينسخ ما سبقه من أديان أو يقلل من شأنها أو شأن معتنقيها وإنما على العكس من ذلك صور القرآن الكريم هذه الرسالات السماوية فى أحسن صورة ولذلك رأينا الأعداد الغفيرة من الشعوب التي دخلها الإسلام تعتنقه عن رغبة وطوعية خاصة وإن المسلمين لم يحاولوا فرض العقيدة بالسيف أو بالإكراه كما فعل من سبقهم وكما فعل من جاء بعدهم ، وإنما كان يتروكون أمر اعتناق الإسلام للرغبة الصادقة عن اقتناع وتفكير ، وكان الخراج والحزبة على المسلمين ضربة الدم والذود عن أمن الدولة وحدودها وثغورها .

٣ - النظرة الشمولية للحياة في الإسلام :

إن نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية - مستمدة من الكتاب والسنة - تستبعد تماماً نظرية الرهبانية في الإسلام وتجعل من العقيدة الإسلامية مظلة لكل ما بهم الحياة الإنسانية من أمور الدين والدنيا ، ومن هنا تناول القرآن الكريم كل ما يمس جوانب الحياة والعلاقات بين الأفراد في الأسرة والمجتمع والأهتمام بالجوانب الخلقية والسلوكية والثقافية لتكوين الشخصية الحضارية المسلمة مع التركيز على تقنين وتنظيم كل هذه المعاملات في اطار من الرقابة التنظيمية المرتبطة بالمنهج العلمي الصحيح . وإذا كان العرب قد أدركوا لأول وهلة دور هذا الدين الجديد في معالجة كل جوانب حياتهم الخاصة والعامة فإن الشعوب التي انضوت تحت لواء الإسلام لم تلبث أن أدركت نفس الإدراك ووجدت في العقيدة الإسلامية إجابة عن كل أمورهم الدنيوية والأخروية وتطويعاً لكل مشاكل الحياة بما فيها الأحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية والمنطلقات الفكرية .

٤ - الاستفادة من الحضارات السابقة وامتصاصها :

تفريعاً على ما سبق أن ذكرناه من عدم التناقض بين الفكرة والعقيدة رأينا الإسلام لا يرفض ما سبقه من نظم سياسية وقيم حضارية ونظريات علمية بل العكس من ذلك استفادت الدولة الإسلامية من كل النظم والحضارات السابقة واضطر علماء المسلمين في سبيل ذلك إلى إجادة اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية ونقل التراث ومولفات هذه الحضارات والثقافات إلى اللغة العربية ،

٥ - الأخذ بمبادئ العدل والحرية والمساواة :

اهتم الإسلام بابرار الشخصية الإنسانية وتميزها على كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى من كائنات أخرى ، مصداقاً لقوله تعالى في سورة الأسراء « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » (١) .

٦ - الدور الذاتي في الدعوة إلى الإسلام :

لم تعتمد العقيدة الإسلامية في انتشارها في أرجاء القارات على مؤسسات تنظيمية وارساليات تبشيرية وميزانيات معتمدة تستهدف إغراء الناس باعتناق الإسلام ،

(١) آية رقم ٧٠ من سورة الإسراء .

ولكنها اعتمدت على الجهود الذاتية المنبعثة عن عمق العقيدة في قلوب أصحابها نخس من هؤلاء علماء الإسلام وفقهاؤه والرحالة والتجار والجغرافيون والعلمون ، كما اعتمدت أيضاً على اهتمام التجمعات الإسلامية بإنشاء الجوامع والمساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها من الأبنية الدينية والتعليمية التي كانت تقوم أساساً على الجهود الذاتية واتبرعات المادية والعينية .

ولعل مما يشير التساؤل عند كثير من المفكرين ظاهرة عمق العقيدة الإسلامية في بلاد لم تطأها قدم جندي إسلامي واحد في شرق وغرب وجنوب أفريقيا وجنوب شرقي آسيا حتى أن هؤلاء المسلمين خاضوا ومازالوا يخوضون لعدة قرون حروباً ضد المستعمرين والأغلبات المسيحية على الرغم من عدم التكافؤ في المال والسلاح .

٧ - غلبة الإيمان بالعقيدة على الحركات الانفصالية :

ليس من شك في أن الحركات الانفصالية عن جسم الدولة الإسلامية في العصر العباسي الثاني كان لها أثرها على قوة الدولة السياسية خاصة بعد أن سيطرت العناصر الدخيلة على عاصمة الخلافة تركية أو بويهية أو سلجوقية ولكن هذا التأثير لم يمتد إلى الجوانب العقيدية والفكرية ، حتى أن القيادات الإدارية والتنظيمية للدويلات الإسلامية الشرقية والغربية كانت شديدة الولاء والانتماء للعقيدة الإسلامية حيث أنها كانت تعتبر هذا الإيمان جسراً يقيها واستمرارها في قواعدها . وكانت وسيلتها إلى تمكين هذا التعبير تكمن في الجوانب التالية :

١ - كثرة اهتمامها ببناء المؤسسات الدينية وفي مقدمتها الجوامع والمساجد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وتدرّس الفقه والحديث والشريعة واللغة العربية ، ومجد ذلك واضحاً في الدويلات الإسلامية المستقلة كالطولونية والاختيدية والأيوبيّة والمملوكية ، فقد كثر تشييد السبل ومدارس تحفيظ القرآن إضافة إلى الجوامع والمساجد ، وما حدث في القسم الغربي من الدولة الإسلامية حدث في قسمها الشرقي .

٢ - الاهتمام باجتناب الفقهاء والمحدثين وغيرهم من علماء الدين ، الذين ساعد اجتهداهم ومؤلفاتهم ومناظراتهم على تعميق وتأصيل العقيدة الدينية عند الناس لدرجة أن سمعة هؤلاء العلماء كانت تجذب إليهم التلاميذ والمريدين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وانتشرت المذاهب الفقهية خارج نطاق حدوده كما حدث

بالنسبة للفقهاء المالكي الذى انتشر فى شمالى افريقيا والمغرب والأندلس وفقه الأحناف الذى انتشر فى شرق العالم الإسلامى .

٣ - الاهتمام بنشر الديانة الإسلامية سواء كان ذلك بعمليات التوسع التى سبق أن تحدثنا عنها فى الهند وشرقى آسيا أو عن طريق الفقهاء والعلماء الذين نشروا العقيدة فى المجهل الأفريقية والجزر المتناثرة فى جنوب شرقى آسيا .

وهكذا لم تكن للحركات الانفصالية تأثيرات عكسية على نشر العقيدة الإسلامية وشيوعها بل كانت على العكس من ذلك عاملاً من عوامل انتشارها وذيوعها .

٨ - وحدة مصادر التشريع وإرساء قواعد ونظم الحكم الإسلامى بعد الهجرة :

لدراسة هذا العامل لابد من الإشارة إلى النقاط التالية :

١ - وحدة مصادر التشريع فى الإسلام .

٢ - الوحدة والتكوين الحضارى للشخصية المسلمة .

٣ - وضع الأصول التكوينية للمجتمع الإسلامى .

٤ - إرساء قواعد ونظم الحكم الإسلامى بعد الهجرة .

التحديات التى واجهت العالم الإسلامى :

تعرضت الدولة الإسلامية لبعض عوامل الضعف والتفكك والاضمحلال منها ما هو داخلى ذاتى : كالسبئية والعصبيات القبلية وحركات الخوارج والقرامطة والزنج والباطنية والشعوبية والزندقة ، والحركات الانفصالية وأطماع العناصر الدخيلة ، ومنها ما هو خارجى مادى عدوانى كالفارات المغولية ، والحركات الصليبية والمد الاستعمارى والعدوان الصهيونى ، ومنها ما هو خارجى فكري كالأيدلوجيات المستوردة والاتجاهات الفكرية المنحرفة وافتراءات بعض المستشرقين .

العوامل الداخلية :

أولاً : الخلافات الحزبية والمذهبية :

كانت السبئية المنطلق المذهبى لبعض الحركات الشيعية المتطرفة ، وفى مقدمتها الكيسانية والرافضة والقرامطة وغيرها ، والسبئية نسبة إلى (عبد الله بن سبا) وهو يهودى من أصل يمنى إدعى الإسلام وبدأ يستغل المارة التى كانت عند بعض العلويين

الذين كانوا يؤمنون بأحقية سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فى الخلافة وينحرف بها إلى منعطفات واتجاهات رفضها الإمام رفضاً قاطعاً وكذلك أنصاره .

وفى عهد الدولة الأموية ظهرت على مسرح الأحداث مذاهب فكرية وسياسية وكلامية ، وانطلق الخوارج من قمامتهم يثيرون الفتن والقتل فى كل مكان ، وظهرت بعض الأحزاب السياسية وفى مقدمتها الكيسانية والزيدية ، وانشطرت بعض هذه الأحزاب من داخلها إلى عشرات الفرق كما حدث بالنسبة للخوارج ، وأعلن كثير من الموالى سخطهم على الدولة الأموية .

ثانيا : العصبيات القبلية :

حدث فى عهد الخلافة الأموية ، وفى أواخر الفرع السفينانى ، أن انضم المضربون إلى الزبيريين فى المطالبة بخلافة (عبد الله بن الزبير) ووقف اليمينيون إلى جانب الأمويين ، وعادت لأول مرة نيران العداوة العصبية التى أخمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقعة (مرج راهط) التى ظلت رايتهما الخلافة ترفع فى كل موقع من مواقع الدولة الإسلامية ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، كما قام الخلاف بين اليمينيين والمضربين ، إلى الدرجة التى اعتبرها بعض المؤرخين أشبه بالداء العضال الذى كان يضعف من قوة الدولة ، ويؤثر على وحدتها وكيانها .

ثالثا : الشعوبية :

الشعوبية حركة عدائية للعرب والعروية ، وكانت كما قال البعض كلمة حق يراد بها باطل استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ ، ولكن هذه الحركات نبئت فى أول الأمر كظاهرة احتجاج ضد سياسة الدولة الأموية فى فارس وما والاها من البلاد التى انضوت تحت الإسلام واتهموها باتجاهات عنصرية تقصر على إسناد الوظائف الهامة فى الدولة كإمارة البلدان وجباية الخراج والشرطة والحسبة وغيرها إلى العناصر العربية وقد اشتد الغضب الشعبوى حين اضطر بعض خلفاء الأمويين بسبب الخوف من تناقص موارد بيت المال إلى إبقاء الجزية عنم يعتنقون الإسلام من الموالى ، وأن تظل إراضيهم أراضى خراجية ولا تتحول إلى أراضى عشرية كتلك التى جعلت الكثيرين من الموالى يساندون كل الثورات السياسية والدينية

والمذهبية التى قامت ضد الدولة الأموية فوقفوا إلى جانب الكيسانيين والخوارج وأخيراً ساندوا العباسيين فى دعوتهم ضد الأمويين حتى سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ .

رابعاً : طموحات العناصر الداخلية :

الإسلام دين عالمى شامل يتسع لكل الناس والشعوب والأمم والقبائل ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ ومن هذا المنطلق كان رفض الإسلام للتمييز العنصرى والتفرقة بين الناس على أساس من السلالة أو اللون أو الثروة .

ولكن الخطورة تكمن حين تتحول بعض هذه العناصر (بعيداً عن سماحة الإسلام) تتحول إلى أدوات لإضعاف نظام الدولة الإسلامى كما حدث فى محاولات بعض المتطلعين من زعماء الخراسانيين فى الدولة العباسية ثم تسلط الأتراك والبويهيين وغيرهم مما أدى إلى إضعاف الخلفاء العباسيين ، وإنهاء الدولة العباسية على يد المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .

لقد كانت أطماع قيادات هذه العناصر فى العصر العباسى الثانى عاملاً ليس فقط فى إضعاف أمر الخلفاء العباسيين وإنما فى المساعدة على خلق كيانات ودويلات مستقلة أضعفت من وحدة الدولة الإسلامية .

خامساً : ظهور العديد من الدويلات الإسلامية المستقلة :

كان من نتيجة الحركات الشعبية وطموحات زعامات العناصر الدخيلة أن تفككت عرى وحدة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً ، وبدأت الصراعات المختلفة تقوم بين هذه الدول وبعضها وأن الدراسى لتاريخ الدولة الإسلامية ابتداء من العصر العباسى الثانى يلمس إلى حد كبير قيام هذه الدويلات وسقوطها وصراعاتها وخلافاتها مما كان له تأثير كبير على وحدة الدولة الإسلامية ابتداء من العصر العباسى الثانى .

سادساً : عدم الإدراك الواعى لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين :

سبق أن تناولنا بالحديث عدم وجود أى تناقض بين العقيدة والفكر فى الإسلام ، وأن الدين الإسلامى دين شمولى يجمع بين الدين والدنيا مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم (أعمل لدينك كأنك تموت غداً ، وأعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً) .

وليس أبلغ من هذا الحديث دليلاً على أنه لا رهبانية ولا كهنوتية ولا إنعزالية في الإسلام ، ولكن بعضاً ممن لم يكن عندهم تصور واضح لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين تصور لفترة من الفترات أن الدين الإسلامي يقتصر على مجرد العبادات الظاهرة وأنه يتعارض مع مظاهر التطور العلمى والفكرى الإنسانى ، ونحن لا ننكر على الدولة العثمانية مثلاً دورها القيادى فى الذود عن كثير من الأراضى الإسلامية ضد الهجمات الصليبية الشرسة الآتية من جانب الأسبانيين والبرتغاليين عقب نجاحهم فى إزالة الدولة الإسلامية فى الأندلس ، والحيلولة دون الأفكار الإجرامية ضد الأماكن المقدسة ، ولكن عدم الإدراك الحقيقى لفلسفة وفكر الإسلام وقف حائلاً دون عمليات التطور الفكرى والحضارى ، فى وقت بدأت فيه الحركات السياسية والإنقلابات الصناعية تحتاج أوروبا مما أدى إلى إصابة العلم الإسلامى بظاهرة التخلف الحضارى وقد أتاح ذلك للإستعمار الأجنبى إستغلال هذا الركود والجمود لىسط ظلاله على كثير من البلاد الإسلامية الواقعة فى إطار الدولة العثمانية .

العوامل الخارجية :

أولاً : العدوان المغولى والصليبي والإستعماري :

تعرضت الدولة الإسلامية للعدوان الخارجى عليها إعتباراً من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وتمكن المغول من تقويض الدولة العباسية بعد أن إستمرت فى الحكم قرابة خمسة قرون ونصف ، ثم حاولوا اجتياح بقية العالم الإسلامى لولا وقوف مصر الإسلامية ضد هذا الغزو وإنهاء هذا الزحف المدمر للحضارة الإسلامية عند (عين جالوت) فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى .

فى أثناء ذلك كانت الصليبية المسيحية تستعد لعدوانها على العالم الإسلامى الذى كان يقترب رويداً رويداً من رئسيها المسيحيتين فى روما وبيزنطة ، وظهرت فى أوروبا موجة صليبية عاتية تتجه للقضاء على الكيان الإسلامى ، وقد بدأت هذه الموجة أول ضرباتها فى المغرب الإسلامى والأندلس فى محاولات للقضاء على الوجود الإسلامى فى أسبانيا ، وفى نفس الوقت كانت الحملات الصليبية تتابع واحدة بعد الأخرى ، إلى أن تمكنت الوحدة المصرية السورية بقيادة صلاح الدين الأيوبي من وقف هذا المد الصليبي .

وليس من شك فى أن ذلك كله قد أصاب العالم الإسلامى بضربات شديدة فى مختلف مواقعه مما أتاح للحركة الإستعمارية المادية والإقتصادية أن تجد سبيلها الميسر إلى مختلف أراضيه وتحولت الشعوب الإسلامية إلى أفواه مستهلكة لكل ما ينتجه الإنقلاب الصناعى الأوروبى ، وبدأ الأمر باحتلال إنجلترا لعدن سنة ١٨٣٩م ومحاولة فرض السيطرة على شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ، واحتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م وتونس ١٨٨١م ، وبريطانيا مصر سنة ١٨٨٢م ثم لم تلبث أن احتلت إيطاليا ليبيا واحتلت فرنسا مراكش ، ولم تكد تنتهى الحرب العالمية الأولى حتى كان الهلال الخصيب كله تحت الاحتلال الأجنبى .

ثم كانت الطامة الكبرى حين تمت الزيجة السياسية بين الإمبريالية الإستعمارية والصهيونية العالمية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكانت هدية هذه الزيجة تقديم فلسطين للصهيونية العالمية ، ومنذ ذلك الوقت والإمبريالية الإستعمارية والصهيونية العالمية تشكلان أكبر خطر يهدد العالم العربى والإسلامى بوجه عام .

ثانيا : حركة الإستشراق :

ولم يقتصر العدوان الخارجى على العالم الإسلامى فى جانبه المادى والعسكرى وإنما تمثل فى عملية التسرب الفكرى والثقافى التى تعتبر أشد خطراً وفتكاً فمذ القرن الخامس عشر الميلادى ومحاولات المخاطرين والمكتشفين الأجانب مستمرة فى العدوان على تراثنا الفكرى والثقافى بطرق وأساليب مختلفة ، منها ما يتسم بالعلنية ، ومنها ما يتسم بالسرية ، وأنشئت كليات ومعاهد الاستشراق فى دول أوروبا الغربية ، حيث كان ينقل إليها ما أمكن حمله من مصادر التراث الإسلامى .

وكثيراً ما قرأنا وسمعنا لعشرات البعثات الإستكشافية والإرساليات التبشيرية الموفدة من المعاهد الاستشراقية والهيئات الكنسية ، التى كانت تستهدف فى الأصل الاستشار بالمصادر الإسلامية ، وغسل العقول البدائية من أركان العقيدة ، وأنشئت المؤسسات التربوية والتعليمية والصحية فى الداخل ، كما ألفت الكتب والمراجع المليئة بالمغالطات المكشوفة فى التاريخ الإسلامى .

وليس من شك فى أن ما قامت به الجامعات الإسلامية ، ومازالت تقوم به من كشف لهذه المغالطات العلمية بالأساليب العلمية الصحيحة ، إنما يمثل دوراً أساسياً فى إضعاف موجات الاتحاد والتشكك والتيارات الفكرية التى قد يتعرض لها الشباب الإسلامى .

ثالثاً : بعد مسافة التخلّف بين الدول الصناعية والدول الإسلامية النامية :

يضاف إلى كل ما سبق بعد مسافة التخلّف بين الدول الصناعية والدول الإسلامية النامية ، ذلك البعد الذى يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم بسبب عملية التطور العلمى والتكنولوجيا عند الدول الصناعية خاصة وأن هذه الدول تسعى جاهدة للحيلولة دون المحاولات التى تبذلها الدول الإسلامية للحصول على التكنولوجيا الحديثة ، وانتقالها من مرحلة الدول المستهلكة إلى مرحلة الدول المنتجة .

وعلى الرغم من الخلافات التى قد تبدو بين الكتلت المتصارعة فى عالم اليوم إلا أنها تتفق على شئ واحد وهو الوقوف فى وجه هذا العملاق الإسلامى بشتى الطرق لأنهم يقرأون التاريخ ويعلمون إلى أى حد تمتد جذور هذا العالم الإسلامى إلى الأعماق .

ولعلنا نذكر فى هذا المجال ذلك المؤتمر الذى عقد فى لندن سنة ١٩٠٧م واكتملت فيه كل الدول الصناعية الاستعمارية برئاسة كامبل بنرمان رئيس الوزراء البريطانى وكان هذا المؤتمر ينظر فى الوسائل التى توصل إلى الإبقاء على الظاهرة الإستعمارية فى مواجهة حركات التحرر ، وانتهى النقاش إلى أن العالم الإسلامى يشكل الخطر الرئيسى لمستقبل الدول الصناعية ، وكانت العقيدة القرآنية واللغة المشتركة من بين الأسس التى رأى التركيز على ضرورة إضعافها وتصفيتها ووضعت سياسة هذا المؤتمر على أساس تشجيع اللهجات العامية ، وإضعاف العقيدة الإسلامية وإثارة الطائفية الدينية والعنصرية وخلق دولة يهودية فى قلب هذا العالم الإسلامى تمتص كل موارده القومية الرئيسية ، وزيادة مساحات التخلّف بين الدول الصناعية المتقدمة والدول الإسلامية النامية .

وعلى الرغم من إمتلاك العالم الإسلامى لأكبر نسبة من أعظم مصادر الطاقة وهو البترول ، واعتماد الدول الصناعية على هذا النفط إلا أن السياسة المخططة لهذه الدول بمؤسساتها الضخمة وشركاتها العالمية وإمكانياتها الواسعة تحول دون شك فى الوصول إلى ما تصبوا إليه الدول البترولية الإسلامية من تطور وتقدم يواكب التطور والتقدم العالميين .

ثانياً : الاستجابات الإسلامية الحديثة للتحديات الحضارية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ويتضمن هذا البحث الموضوعات الآتية :

(١) الدعوات السلفية :

أطلق تعبير «الدعوات السلفية» على كل من الدعوة الوهابية ، والدعوة السنوسية ، والثورة المهدية بسبب ما أتت به من مبادئ تدعو المسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح منذ زمن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهذه الدعوات وإن اختلفت مناطق انبعاثها وتعددت أساليبها إلا أنها ذات مبادئ موحدة وأهداف متشابهة وكلها استفادت من جهود العلامة «أحمد بن تيمية» في مواجهة الخارجين على جوهر الدين الإسلامي «كالباطنية» التي اتخذت ما عرف بدا الإشراق الإلهي ومعناه أن المعرفة تشرق على أمتهم فتسموا بهم إلى مرتبة لا ينالها غيرهم ، أي أن الله يفيض عليهم نور المعرفة فتكشف لهم الحقائق فيعرفون بواطن الأمور وظواهرها ، وكفرقة «النصيرية» التي أعانت التتار على محو الإسلام . كما رأى ابن تيمية أن الجبهة من عامة الناس ينحتون في الصخور أقداماً وأكفا يدعون أنها للنبي محمد عليه الصلاة والسلام فيقدسونها ويتباركون بها أو يصنعون أصناماً يسجدون لها .

ومن ثم وجه «ابن تيمية» دعوته بالرجوع إلى القرآن والسنة واتباع السلف الصالح في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين لأنها لا تتفق مع الروح السلفية القديمة ، ومحاربة البدع والنفكرات ولا سيما ما كان منها وسيلة للشرك بالله وترك الغلو في تقديس الرسول صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالاقتداء بهديه . وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، ولعن من اتخذ من القبور مساجد فقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن من يفعل ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله زائرات القبور» ، وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان ، لهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم لا تجعل قبري وثناً بعدى .

ويجب أن يكون واضحاً إذن من البداية أن دعوة التوحيد التي نادى بها العلامة «أحمد بن تيمية» كانت عاملاً مشتركاً لكل الحركات الدينية الأخرى ، كما كانت هناك عوامل أخرى اشتركت الدعوات السلفية في التأثير بها مما يجعلنا نعتقد بوحدة هذه

الدعوات فى الهدف وفى المصير ، خاصة ان هذه الدعوات جاءت فى الوقت الذى كان الوطن العربى يخضع للسيادة العثمانية التى فرضت على العرب عزلة وجسوداً فكرياً جعلت الإسلام فى الأقطار العربية وخاصة بين الأطراف مشرب بالمساوىء التى لا تمت إلى الدين الصحيح بنسب .

ويمكن أن نحدد فى البدء عوامل التشابه بين الدعوات السلفية الثلاث على النحو التالى :

أولاً: أصحاب الدعوات :

تنتسب الدعوة الوهابية إلى العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما تنتسب الدعوة السنوسية إلى الشيخ محمد بن على السنوسى ، والدعوة المهدية إلى الشيخ محمد أحمد بن عبد الله الملقب بالمهدى المنتظر ، فوجه الشبه الأول جاء فى التسمية باسم «محمد» تيمناً باسم رسول الإسلام ، كما يتشابه أصحاب الدعوات السلفية الثلاث فى المكونات الشخصية ، «فمحمد بن عبد الوهاب» ينحدر من أصول عربية تنتهى به إلى «مصر» وهى بطن من بطون تميم أكبر القبائل العربية وأعزها .

كانت أحوال المسلمين الدينية متشابهة فى تلك الأزمان التى سبقت ظهور الدعوات السلفية ، حيث غلب عليها اتباع البدع والخرافات بل والاستغاثة بغير الله ، مما استدعى وجود مصلحين . فقد سيطر على أهل نجد سحياً من الخرافات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمامم والتعاويذ والسبحات ، فلو عاد صاحب الرسالة - محمد صلى الله عليه وسلم - إلى الأرض فى ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يعلن المرتدون وعبد الأوثان .

وعلى هذا كان التدهور فى المجتمع الإسلامى يسير بسرعة حتى أصبحت القيم التى أكسبها الإسلام لمجتمع شبه الجزيرة العربية قد اضمحلت واندثرت أو كادت ، واحتلت الضلالات والبدع والخرافات والأساطير فى نفوس العامة وغير العامة محل القيم الصحيحة للإسلام ومبادئه حتى أصبحت بعض الأشجار والكهوف والمغاور والقباب والقبور والأضرحة موضع قداسة وشفاعة أقرب إلى العبادة ، وحتى أضحت تعاليم الإسلام التى تضبط

المجتمع وتحكم روابطه نسبياً منسياً ، وكان الإسلام لم يظهر فى شبه الجزيرة العربية ولم يترك أثراً حضارياً لا على رمالها ولا فى عقول أبنائها ونفوسهم .

ولم تكن نجد تنفرد بمثل هذه الخرافات والبدع ، فقد شاركتها فيها بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الإسلامية التى تعرضت لمثل ظروف شبه الجزيرة العربية وأعنى الظلم والفقر والجهل ، وهى ظروف ساعدت على كثرة الدجالين وأصحاب البدع ممن يجدون لبضاعتهم سوقاً رائجة فى دنيا العوام وأشباه العوام .

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن أحوال أهل برقة الدينية ، ذلك أنه بحكم مرور السنين وإهمال المصلحين الدينيين لوظيفتهم قد جعلت البرقاويين يحددون عن أصول الإسلام الصحيحة ، وغير متفهمين للعقيدة وإنما مقلدين ، ومن ثم أصبحوا سائرين فى غيابات الضلال معرضين لخطر أصحاب النفوذ من شيوخ البدو فى الجبل الأخضر شبيها بالكعبة قصدوا به تقليد البيت الحرام ، وقد أراد مؤسسو هذه الكعبة الزائفة أن يدخلوا فى أذهان البدو أن زيارتهم لها تقوم مقام حج بيت الله الحرام إلى غير ذلك من أعمال تنافى الدين كواد البنات وعدم صوم رمضان بابتداع بدعة تقوم على الذهاب قبل حلول شهر رمضان بأيام إلى وادى « زازا » المعروف بقوة رجع الصدى وسؤاله أيصومون رمضان أم لا ؟ فيجب الصدى بالكلمة الأخيرة « لا » فيصبحون فى حل من الصوم ويفطرون .

وأما أمور السودانيين الدينية فلم تختلف عن أمور التجديدين والرقاويين ، ذلك أن الإسلام عندما دخل إلى السودان على أيدي القبائل العربية لم ينتشر بين أهل البلاد بالتبشير أو الدعوة إلى الدين ، وإنما انتشر بالوسيلة الاجتماعية والتسرب السلمى ، بالاصهار إلى الشعوب المحلية ، ثم إمتصاص هذه الشعوب فى الدماء العربية الوافدة ، ثم اندماج هذه القبائل فى الحياة القبلية الجديدة . وكانت النتيجة الحتمية لهذا الاندماج الاجتماعى اعتناق جيل المولدين دين الأمهات ودين القبيلة صاحبة النفوذ ، ثم ازدياد التيار الإسلامى عمقاً بمرضى الزمن .

وقد ساعد على ذلك أن العرب فى كل بلد نزلوا فيها بعد الفتح الإسلامى لم يكونوا طبقة حاكمة متعالية ومنعزلة عن السكان الأصليين ، ولم يطالبوا بحكم ذاتى أو مملكة خاصة ولكن كانت لهم أحياءهم الخاصة فى المدن الكبيرة ولهم قراهم الخاصة ، والدلائل واضحة على أنهم فى بعض المناطق خضعوا لحكام البلاد .

ونتيجة للانقسامات بين القبائل السودانية من ناحية وشيوع مظاهر الفقر والجهل ظهرت زعامات دينية صوفية متنافسة لا تهتم بأصول الإسلام وقواعده الأساسية ، مما ساعد على سواد العاطفة والخرافات بين السودانيين ، وجعل السودانيين ينسبون إلى رجال الدين المعجزات بل وقدسهم أكثر من تقديس الأنبياء في الوقت الذي ضعف فيه مستواهم العلمي فلم يكن باستطاعتهم التمييز بين الخرافات والعقيدة الصحيحة .

انطلقت الدعوات السلفية الثلاث من منطلق ديني استناداً على التكوين الديني لشخصيات أصحابها وحيث كانت الظروف الدينية للمسلمين تستدعي مخاطبتهم من الناحية الروحية أولاً لتطبيق البرنامج الشامل لكل دعوة . وهذا يعني أنه كان لكل صاحب دعوة برنامجاً شاملاً في النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية . واختيار أصحاب الدعوات للجانب الديني في البرنامج لتنفيذه يدل على اعتبار أن اصلاح هذا الجانب في نفوس المسلمين أساس لكل اصلاح ولكل ناحية .

والفكر الديني عند أصحاب الدعوات السلفية (الوهابية ، السنوسية ، المهدية) متكامل ومتشابه ، وإن بدا بعض الخلاف في ناحية أو أكثر من نواحي هذا الفكر فإنما يرجع إلى اختلاف في الظروف المحيطة بصاحب كل دعوة أو بمدى طموحه في تنفيذ برنامج . والشئ الواضح في فكر أصحاب الدعوات الثلاث هي الدعوة إلى رجوع المسلمين إلى ماكان عليه السلف الصالح من سلوك ديني منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ما يطلق عليه المنهج المدرسي أو المنهج المتزيم .

يشيع بين البعض أن دعوات الاصلاح السلفية ذات مضمون ديني فقط وليس لها مضمون اجتماعي ، أي أن أصحاب هذه الدعوات لم يكن لهم برنامج اجتماعي ، والحقيقة غير ذلك لأن برنامج الاصلاح عند كل صاحب دعوة سلفية كان برنامجاً شاملاً موجهاً إلى مجتمعات ذات تراث دخلته شوائب ، والاصلاح الاجتماعي أمر له أهميته لنجاح مبادئ الاصلاح الشاملة .

(ب) الجامعة الإسلامية :

كانت فكرة الجامعة الإسلامية مظهراً آخر لليقظة الإسلامية التي أخذت دورها بين الشعوب العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر ، ولكي نستجلى هذه الظاهرة وضوحاً علينا أن نلقى الضوء على الظروف التي أدت إلى ظهورها ، وعلى الشخصيات التي ارتبطت بها ، وعن الفكرة نفسها أبعادها وأهدافها ونتائج الدعوة إليها .

أولاً : ظروف العالم الإسلامى :

يمكن القول أن العالم الإسلامى تعرض منذ أوائل القرن الحادى عشر الميلادى لعوامل تخلف وفوضى نتيجة الغزو الصليبي والوجود التركى فى آسيا الصغرى ، ثم جاءت الغزوة المغولية عام ١٢٥٨م على الجناح الشرقى للعالم الإسلامى - إيران فالعراق - لتزيد من تخلف المسلمين وتضرب الحضارة العربية الإسلامية بضربة قاصمة غير تلك الضربة التى لحقت بالعرب والمسلمين بخسارتهم للأندلس لصالح الكاثوليك الأسبان .

وخير تصوير لحال المسلمين فى القرن التاسع عشر ما ذكره الكاتب الأمريكى «لوثرروب ستودارد» فى كتابه «حاضر العالم الإسلامى» عند حديثه عن اليقظة الإسلامية فى القرن التاسع عشر (١٤٢) . إذ يقول : كان العالم الإسلامى فى القرن الثامن عشر قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ . وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربى ، واستغرقت الأمم الإسلامية فى اتباع الأهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة فى الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قيسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى فى العالم الإسلامى - فى ذلك العهد - سوى المستبدين الغاشمين ، كسلطان تركيا وأواخر ملوك المغرب فى الهند يحكمون حكماً واهناً .

وفى حياة المسلمين الدينية والاجتماعية لعب رجال الدين المستبدين وغير الأمتاء دوراً سيئاً ، حيث كثر عدد الأذعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمانم والتعاويز والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والسبهات ، ويرغبونهم فى الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصاروا يشربون الخمر ، وانتشرت الرذائل ، فقلت الأيدي وقعدت عن طلب الرزق وكاد العزم يتلاشى فى نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بواراً شديداً وأهملت الزراعة أيما اهمال .

وكانت مصر - منارة العالم الإسلامى آنذاك بوجود الجامع الأزهر وعلمائه ومؤسسات التعليم الحديث التى أوجدها محمد على وحفيده إسماعيل - تعيش فى الأخرى عصراً من الفوضى وسوء الحكم ، فلم يكن المصريون آنذاك يرون شئونهم العامة بل الخاصة

ملكاً لحاكمهم الأعلى ومن ينيبه عنه في تدبير أمورهم ، يتصرف فيها بحسب إراداته ، ويعتقدون أن سعادتهم وشقايتهم موكولان إلى أمانته وعدله ، أو خيانتته وظلمه ، ولا يرى أحد منهم لنفسه رأياً يحق له أن يبيديه في إدارة بلاده ، أو إرادة يتقدم بها إلى عمل من الأعمال يرى فيها صالحاً لأمته ، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى أنهم يحكمون مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة ، وتضربه عليهم ، وكانوا في غاية البعد عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى سواء كانت إسلامية أو أوروبية .

وكانت أحوال الشرق الإسلامي عامة تسير من سىء إلى أسوأ ، فالجهل والخرافات والأوهام والعادات والبدع انتشرت بين المسلمين ، كما انتشر بينهم داء الفرقة والخلاف فلا رابطة اجتماعية تجمعهم لتحقيق الخير لهم فأخذهم الفقر في كل أقطارهم على غنى بلادهم واتساعها وخصبها ولكنهم بجهلهم لا يعملون على الانتفاع ، وشملهم الذل والهوان على قوتهم وكثرة عددهم وتركوا بلادهم نهباً مقسماً بين الأوروبيين ، ورضوا بأن يكونوا له خداماً طائعين .

ويمكن أن نضيف ما أصاب المسلمين من اسراف وتبذير في الانفاق على أفراحهم وأمواتهم حتى يخسرون أموالهم وممتلكاتهم التي يأخذها الأجانب - إلى جانب داء التواكل الذي كبل عقولهم عن التفكير وأيديهم وأرجلهم عن العمل والسعى وأسلموا أمرهم للأجنبي ، وصاروا يتمسكون بأمثال مثبتة للهم مؤدية للشلل الاجتماعي مثل قولهم «سيبها على الله» و «لا تفكر ولها مدبر» و «اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب» و «مراد الخالق من الخلق ما هم عليه» و «لهم - أى للأجانب - الدنيا ولنا الآخرة» و «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» .

ثانياً: الشخصيات التي ارتبطت بفكرة الجامعة الإسلامية :

ساد اعتقاد بأن حركة الجامعة الإسلامية كظاهرة من ظواهر اليقظة الإسلامية في القرن التاسع عشر ارتبطت بشخصية السيد جمال الدين الأفغانى وأنها ماتت بموته ، والحقيقة غير ذلك إذ أن فكرة الإصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى وجدت عند السيد جمال الدين وهو فى بلاده أفغانستان كما وجدت عند تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده فى مصر ، وعند السيد محمد رشيد رضا الحجازى الأصل بعد اتصاله بالشيخ محمد

عبيده . ثم أن السلطان عبد الحميد الثانى سلطان الامبراطورية العثمانية ارتبط اسمه بالجامعة الإسلامية حين أراد استغلالها لتدعيم سلطانه وفرض نفوذه على كل المسلمين حتى على أولئك الذين لم يخضعوا من قبل لسلطان الدولة العثمانية .

ثالثاً: الاستجابات الإسلامية المعاصرة للتحديات الحضارية فى القرن العشرين الميلادى . ويتضمن هذا البحث الموضوعات الآتية :

(أ) الوحدة الإسلامية :

أولاً : مقومات الوحدة الإسلامية :

تأثرت أقطار الوطن العربى والأقطار الآسيوية المجاورة بحركة ديناميكية فى القرن السابع الميلادى هى ظهور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وهذه الحركة الإسلامية وما يتصل بها وما يمكن تسميته أيضاً بالحركة العربية التى ظهرت بها قوة اللغة العربية التى رافقت الإسلام كدين فى انتشاره السريع قد أثرت على المجتمعات التى انتشر بها من القرن السابع الميلادى حتى الوقت الحاضر ، وظهر تأثيرها فى جميع نواحي حياة الإنسان فى ذلك الوقت .

وتعتبر حضارة الأقطار العربية والإسلامية خلاصة تفاعلات بين ثقافات واتجاهات وأجناس وشعوب مختلفة تآلفت وإمتزجت فى ظل الخلافة الإسلامية التى ظهرت أولاً فى شبه الجزيرة العربية عندما ظهر الإسلام وانتشر فى أيام الخلفاء الراشدين ، ثم فى ظل دمشق عاصمة الأمويين فبغداد عاصمة العالم الإسلامى فى عصر الخلفاء العباسيين ، ثم فى ظل القاهرة كعاصمة عربية للخلافة الإسلامية .

وتعتبر المرحلة الأولى لظهور الإسلام وانتشاره هامة نظراً لظهور عوامل أساسية أدت إلى وحدة الثقافة الإسلامية لب الوحدة الإسلامية وجوهرها ، وهذه العوامل هى :

- ١ - الوحدة الروحية التى جمعت الشعوب الإسلامية عربية وغير عربية .
- ٢ - ارتباط الدين بالسياسة ، فقد كان الخليفة هو الزعيم السياسى إلى جانب كونه الزعيم الدينى للمسلمين ، مما ساعد على أن يكون للدين الإسلامى أثر عميق فى كل مرافق وميادين الحياة فى أنحاء العالم العربى والإسلامى .

٣ - شيوع مبادئ الإخاء والمساواة التي تحطم الحواجز بين الناس دون النظر إلى الجنس أو اللون ، وهذه المبادئ تستند إلى الشرائع السماوية التي أتى بها الدين .

وقد انتشر الإسلام بمبادئه الروحية والاجتماعية والسياسية والفكرية خارج شبه الجزيرة العربية ووصل في انتشاره إلى مختلف قارات الأرض وقد أطلت راية الإسلام ما بين نقطة الغرب الأقصى إلى « تونازنى » على حدود الصين في عرض ما بين « قازان » من جهة الشمال وبين « سرنديب » تحت خط الإستواء أقطار متصلة وديار متجاورة يسكنها المسلمون وكان لهم فيها السلطان الذي لا يغالب . وكانت حركة انتشاره قوية نشطة في بدايتها حتى بدا كأن الأقطار التي انتشر بها تكون كتلة إسلامية متماسكة قوامها أن المسلمين مهما بعدت بينهم الديار التي يسكنونها وتباينت اللغات واختلفت الأجناس ، هم أصحاب وحدة في التوجيه وأصحاب وحدة في اعتبار المصدر المقدس الأكبر - وهو القرآن الكريم - لواء يلتف المسلمون جميعاً تحت رايته ، وهذا كله كفيل بتقوية أواصر الوحدة الروحية ، وبعث النهضة الإسلامية القوية المجدية بالقيادة والتوجيه لخير الإنسانية موجهة نحو بناء مجتمع قوى الدعائم متكامل الروابط في ظل الإخاء والسلام .

ولا يقلل من هذه الوحدة الإسلامية ما تقتضيه طبيعة التفكير واختلاف وجهات النظر في الاستنباط والتدليل ، وما تمليه سنن الاجتماع من التسابق الذهني في الوصول إلى الحقائق العلمية . فهذا خلاف مرغوب يدل على الثروة الفكرية والعظمة الإسلامية التي حررت العقول وأرهقت الأفكار وشحذت الأذهان ولم تحبسها في حيز محدود أو نطاق محصور .

واجتهاد المجتهدين أورث الأمة الإسلامية تراثاً فكرياً خالداً أنتج العبقريات التشريعية من أئمة المذاهب الإسلامية الكبرى . وهذا التراث الفكرى يعتبر بحق موضع اعتزاز تفخر به الأمة الإسلامية لأنه يدل على رحابة الفكر وسعة الأفق ، وأن الأمة الإسلامية - وإن تعددت فيها المذاهب - أمة واحدة بحكم ما اتفقت عليه من المواضع التي ربطت بينها ولها مواضع تختلف فيها باختلاف العقول ، ووضوح الدلالات وتغير المصالح والأحوال ، والأمة بحكم ما اتفقت عليه أمة واحدة ، وبحكم ما اختلفت فيه مذاهب متعددة ، والمذهبية لا تخرج عن اعتبارهم لبنات من بناء الأمة الإسلامية الواحدة مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى : وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون .

وبهذا يتضح أن الوحدة من أُلزم الفرائض الواجبة على الأمة الإسلامية وأن المسلمين متحتم عليهم أن يعيشوا دائماً متضامنين ، وهم يد على من سواهم ، وأن كياناتهم وبقاؤهم متوقف على هذه الوحدة ، وعلى الأقل في الأهداف والغايات إذا أُجيز التعدد في الوسائل بحسب ما يقيه مصالح الشعوب ، ومن أهم الأهداف أن تقف الأمة الإسلامية كلها صفّاً واحداً أمام الأعداء وعلى الأمة الإسلامية أن توجد من الهيئات والمؤسسات ما يؤدي إلى تحقيق غايات الدفاع والحماية والتنسيق بين سياساتها ، ويجب أن يكون واضحاً أن الدولة الإسلامية أعم وأشمل من الدولة السياسية ، لأن الدولة الإسلامية ذات وظائف مادية وروحية في وقت واحد .

ثانياً : مشكلات العالم الإسلامي المعاصر :

وهكذا يمكن القول أن العالم الإسلامي كان يموج منذ أواخر القرن الثامن عشر بحركات دينية قوية جاءت كرد فعل لحركة الإستغراب Westernization في الشرق الأدنى وكرد فعل لاعتداءات الدول الأوروبية على بعض أجزاء العالم الإسلامي ، وكانت بعض هذه الحركات الدينية تتخذ موقفاً سلبياً من الإستغراب وتنادى بالرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى .

وتتبع مشكلات العالم الإسلامي المعاصر من موقف هذا العالم من المذاهب والتيارات العالمية وتكتلها وأطماعها في أقطار ذلك العالم ومحاولتها هدم الوحدة الإسلامية ومنع قيامها مرة أخرى ، فالمشكلة في واقع الأمر هي مشكلة حضارية يعيشها العالم الإسلامي وسط المذاهب والتكتلات الدولية ، إذ أن أقطار العالم الإسلامي متخلفة عن الدول الأوروبية والأمريكية ، باعتبار الأقطار الإسلامية خضعت سنوات طويلة لعهود من السيطرة الأجنبية والاستغلال الأوروبي والعزلة المفروضة على نشاطها وحياتها في مختلف الميادين .

إن مجتمعنا الإسلامي حالياً يعاني من المشكلات ما لم يعانيه في عصر من العصور الماضية ، وذلك راجع إلى عدة عوامل نذكر أهمها على النحو التالي :

١ - اصطدام المجتمعات الإسلامية بالحضارة الغربية ونظمها وفلسفتها وأخلاقيها التي تختلف في جوهرها عما ساد المجتمع الإسلامي من نظم وفلسفات وعادات .

٢ - تفكك المجتمع الإسلامى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً تفككاً بصورة كبيرة نتج عنه شعور أبنائه بالحالة المتخلفة التى يعيشون فيها ، ورغبتهم فى التخلص من هذا التخلف والسير فى ركب الحضارة التى تسود العالم اليوم ، وكان من الطبيعى أن يشعر المتعلمون وحملة الفكر فى هذا المجتمع الإسلامى بوطأ هذا التخلف والحاجة إلى سلوك الوسائل المجدية للخلاص منه ، والتمسك بالوثائق والغلب للذين هما عمادان قويان وركنان شديدان من أركان الديانة الإسلامية .

وفى واقع الأمر انقسم مفكرو العالم الإسلامى فى معالجة مشكلات عالمهم إلى ثلاث فئات هى :

أولاً : فئة لا تؤمن بصلاح ما فى يد الأمة الإسلامية من تراث وعقيدة حل هذه المشكلات ، فالتجهدت إلى الحضارة الغربية تنشد عندها الحل ، وقد أسرفت هذه الفئة فى هذا الاتجاه بحيث تخلت عن تفكيرها المستقل وعن شخصيتها المستقلة ، واستحسن كل ما رآته فى الحضارة الغربية دون أن تدرك هذه الفئة الفوارق بين مجتمعنا الإسلامى والمجتمعات الغربية وأن ما يصلح لها ربما لا يصلح لنا .

ثانياً : وفئة تؤمن بأن فى الإسلام حل هذه المشكلات إيماناً غيبياً ولكنها لا تعرف كيف يحلها ، وتظن أن من الممكن تطبيق الإسلام بنفس الأشكال التى طبقت فى عصر الخلفاء الراشدين تماماً . وهؤلاء هم أكثر فقهاء الشريعة وعلمائها وهم بعيدون كل البعد عن تفهم مشكلات المجتمع الإسلامى المعاصر ، ويقفون منها دائماً موقفاً سلبياً . بل أظهروا الإسلام أمام خصومه بمظهر العاجز عن حل مشكلات المسلمين .

وقامت المعركة بين هؤلاء الفقهاء وبين أعضاء الفئة الأولى - وهم المتعلمون فى الغرب والمتأثرون بالثقافة الغربية - وكان سلاح هؤلاء الفقهاء ضد الفئة الأولى هو الاتهام بالكفر والإلحاد ، بينما رد عليهم أعضاء الفئة الأولى بأن هؤلاء الفقهاء رجعيون جامدون ، وكأن الجمهور الإسلامى بمجموعة وبطبيعة إيمانه واقتناعه بدينه مستعداً أن يصفى إلى هؤلاء الفقهاء أكثر ، فأبدهم وسار وراءهم .

ولم يفعل أعضاء الفئة الثانية شيئاً من أجل اصلاح اجتماعى شامل ، وكانت النتيجة ازدياد وطأة الحضارة الغربية على العالم الإسلامى ، وازداد اتصال المسلمين بها

خاصة منذ الحرب العالمية الأولى ، وانتشرت المعرفة واتسع نطاق العلم الذي كان متسماً بطابع التفكير الغربي في مدارسنا ومعاهدنا العليا ، وبدأ الجمهور الإسلامي يفقد ثقته بهؤلاء الفقهاء الذين عجزوا عن حل مشكلاته من حيث لم يثق أبداً برواد الثقافة الغربية المتسمة بطابع العدا ، للإسلام بصفة خاصة وللأديان بصفة عامة .

ثالثاً ، وكانت الفئة الثالثة من المفكرين الإسلاميين تتخذ موقفاً وسطاً بين الفئتين السابقتين وتنادى بأن الإسلام يحل كل مشكلات المسلمين الاجتماعية ، فهي في هذا تلتقي مع أولئك الفقهاء لكنها تختلف معهم في فهم هذه المشكلات وتصورها وطبيعة حلها ، وتختلف معهم في طريقة فهم الإسلام وتمثل مقاصده العامة ، ويختلفون مع الفئة الأولى من رواد الثقافة الغربية بموقفهم من عقيدة الأمة وتراثها وبموقفهم من الحضارة الغربية وإيمانهم استقامة مبادئها ومذاهبها .

وهذه الفئة الثالثة تفهم مبادئ الإسلام على أنها هي المبادئ الثلاثة الآتية :

- ١ - تحقيق مصالح الناس في كل ما يحتاجون إليه ، ولا تضيق الشريعة الإسلامية بمصلحة المجتمع ، ويرقر العقلاء ، والدارسون الشرعيون والاجتماعيون بأنها مصلحة .
- ٢ - تحقيق العدالة بين الناس إذا تعرضت مصالحهم مهما تكلفت العدالة من غرم لبعض الناس .

- ٣ - تحقيق التطور الاجتماعي الصالح في المجتمع الإنساني ، فلا يقف الإسلام في وجه تطور ما في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية ، إذا كان هذا التطور نتيجة محتمة لتطور الفكر أو العلم أو ضرورات الحياة .

كما أن لهذه الفئة الثالثة من المفكرين الإسلاميين موقف من مشكلات المجتمع الإسلامي يقوم على ضرورة دراسة هذه المشكلات دراسة عميقة وعريضة ، والاختلاط بالمجتمع اختلاطاً شاملاً لكل فئاته حتى تتحدد المشكلة وتعرف أسبابها ويعرف الطريق الصحيح لحلها حلاً عملياً متفقاً مع رسالة الإسلام .

هذا إلى جانب استعراض للنقاط الآتية :

- ١ - موقف المسلمين من الأيديولوجيات المعاصرة .

★ نظرة المسلمين للشيوعية .

★ نظرة المسلمين للرأسمالية .

★ موقف المسلمين من الصهيونية .

٢ - مواجهة المسلمين للمشكلات المعاصرة :

(أ) منظمة المؤتمر الإسلامي : ويحتوى هذا الموضوع على ما يلى :

١ - عوامل ظهور المنظمة .

٢ - مؤتمرات المنظمة ومشكلات العالم الإسلامى .

٣ - تشكيلات المنظمة .

(ب) رابطة العالم الإسلامى : ويحتوى هذا الموضوع على ما يلى :

١ - نشأتها وأهدافها .

٢ - وسائلها .

٣ - نشاطها .

(جـ) رابطة الجامعات الإسلامية ويحتوى على :

١ - نشأتها وأهدافها .

٢ - وسائلها .

٣ - نشاطها .

(د) منظمات أخرى وتشمل :

١ - رابطة الأدب الإسلامى العالمية .

٢ - الاتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام .

رابعاً : موقف النظام العالمى الجديد من السلام فى الشرق الأوسط . ويتضمن هذا

البحث النقاط الآتية :

١ - نشأة النظام العالمى الجديد .

٢ - قضية الصراع العربى الإسرائيلى (القضية الفلسطينية) .

★ الدعاوى الصهيونية .

★ مشروع التقسيم .

★ التأييد الأمريكى لإسرائيل .

★ الموقف الأمريكى الأخير .

★ الحروب العربية الإسرائيلية .

٣ - قضية السلام فى الشرق الأوسط .

٤ - دور الجامعات الإسلامية .

خامساً ، تأثير البث المباشر على قيم المجتمع الإسلامي في القرن المقبل كتحدى حضارى للعالم الإسلامى . ويتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

مقدمة :

ثورة الاتصالات جعلت من العالم قرية صغيرة بل حجرة صغيرة ، فالقمر الصناعى الواحد يستطيع تغطية ثلث مساحة الكرة الأرضية بما يؤكد أن السيطرة فى هذا العالم تتحقق شيئاً فشيئاً للإعلام وأن الذى يستطيع السيطرة على وسيلة إعلام مؤثرة فإنه يشارك عندئذ فى الحكم عالمياً ومحلياً على قدر تأثير وسيلته وقوة نفوذها .

الكاميرات الخفيفة المحمولة - وأجهزة الاتصال الالكترونية تيسر نقل الأحداث أماكنها تيسر إلى ملايين المشاهدين فى كل أنحاء العالم عن طريق الأقمار الصناعية خلال ساعتين على الأقل . وإذا كانت الأقمار تحول الكرة الأرضية إلى قريج بل إلى حجرة فإن السؤال الذى يفرض نفسه . من الذى يسيطر على هذه القرية ؟؟ .

ينبغى ألا يغيب عنا دور القوى الكبرى ذات المصالح الاستراتيجية فى العالم إذ تعتبر أن مصالحها الحيوية تتجاوز حدودها الوظيفية إلى أرضية العالم كله وكأن هذه الأرضية الممتدة الوطنية فوق بقعة العالم الثالث بأكمله رقعة شطرنج للعبة القوة الدولية وكان من وسائلها وهى تتنافس القوى فى هذه اللعبة مواجهة بعضها البعض بعمليات إشعال الحروب الأهلية داخل دول العالم الثالث أو النزاعات المسلحة على الحدود بين دولة وأخرى أو عمليات إنقلابات واغتيالات سياسية وغيرها مما سعى بأدوات اللعبة القدرة للسياسة الخارجية وكان ذلك كله أساساً من أجل كسب مناطق نفوذ أو إزاحة الطرف المنافس من مناطق نفوذه .

أما وقد إنتقل العالم إلى نظام عالمى مختلف يتصدر الكسب الاقتصادى ميادين التنافس فيه وتصبح فيه مكانة الدول على قمة النظام العالمى الجديد رهناً بقدراتها التنافسية مع الآخرين فى هذا المجال على وجه التحديد فإنه مازال يهم قوى ومصالح دولية مؤثرة فى العالم أن تسعى لإضعاف أبة قوة إقليمية على الوصول إلى نسق النظام الدولى الذى أصبح يسمح لعدد من القوى الإقليمية (مثل مصر فى إفريقيا ، والهند وباكستان فى آسيا ، والبرازيل والأرجنتين فى أمريكا اللاتينية) بأن يكون لها دور مؤثر فى ساحة قمة هذا النظام الجديد (تحت التأسيس) ويصبح هدف إضعاف هذه القوى الإقليمية جزءاً

من لعبة القوة الدولية الجديدة ، وذلك عن طريق تفتيت هذه القوة الإقليمية من الداخل وإضعاف مفهوم الولاء الجماعى الذى هو أساس قوة ووجود الدولة الوطنية .

ولا شك أن التنافس الضخم لعالم البث بوسائله النافذة من الدش والكيبل والساتلايت إلى جانب الفاكس والذى يستند إلى شبكات هائلة متكاثرة العدد ، عندما يفعل ذلك كأنه يعمل على خلق نوعية جديدة من المجتمع غارق فى المخدرات الإعلامية التى تقتل أوقات الناس وتحرق أعمارهم فيما لا يفيدهم ولا يساعدهم فى حل مشاكلهم على اختلافها إذن نقول هنا على الحضارة السلام ولكن نقول أيضاً إن التكنولوجيا الحديثة بأنواعها المختلفة إما تعمم الخير أو الخراب والدمار .

القيم الإسلامية والبث المباشر :

يدخر الإسلام مجموعة لا تحصى من القيم الرفيعة التى منحها الله هذه الأمة وكلفها بالتمسك بها وإذاعتها والدعوة إليها فما من ناحية من نواحي الحياة ولا طرف من أطرافها إلا له نصيب من هذه القيم حتى ليستطيع المرء من غير أن يجانبه الصواب أن يقول بأن هذه القيم تستغرق الحياة بما فيها من قول وعمل وفكر وسلوك وعقيدة وعبادة وسلم وحرب وفقر وغنى . فما هو نصيب هذه القيم وما حظها من البرامج والأفلام التى تبث من خلال الأقمار الصناعية ، أم أن ما يحدث فى الواقع مغاير تماماً لهذه القيم الرائعة ؟ .

إن المتتبع للبرامج والأفلام المتعددة الميثوثة من إسرائيل وغيرها من البلاد التى تعمل على هدم القيم يلاحظ تماماً معاول الهدم التى تتوجه إلى القيم الإسلامية لتقييم على أنقاضها قيمة غربية تفترس الخلق والدين وتعبث بلبنيات تلك الحضارة الشامخة التى أقامها الإسلام على مدى أربعة عشر قرناً وأرى قواعدها شرقاً وغرباً فباتت ولها جذور عميقة الفور فى تلك النفوس التى ما قدمت منذ وقف بلال مؤذناً بالنداء الخالد : « الله أكبر » تستمع إليه صباح مساء ، موقنة بأنه لا قيمة لحياتها ولا لوجودها ، بل لا معنى لديبها فوق الأرض أن لم تكن مسلحة عابدة تعتز بانتمائها لأشرف الدعوات وبإنتسابها لخير الأمم .

فهل باستطاعة المؤسسات الإعلامية فى العالم الإسلامى أن تنهض حقيقة بالدور الذى يفرضه عليها الإسلام ؟ وهى على ما هى عليه من الواقع الذى ما يزال بعيداً جداً عن قيم الإسلام وعقائده وتصوراتة ؟؟ .

البث المباشر وتحديد القيم :

لقد غدا البث المباشر محدداً للقيم التى ينبغى علينا الإيمان بها والحرص عليها ولو كانت هذه القيم أحسن ما سجله تاريخ البشرية من الصفات المرذولة الممقوتة التى كانت تطارد فيما حلت لأنها سبه فى جبين الإنسان الذى كرمه الله وعلى منزلة بين الخلاق ومع ذلك فإن البرامج تقدم على أنها المثل المؤدية للنجاح والسعادة والثراء ، فالنفاق حل مكان الكياسة والقفظة والغدر أضحي أولى من منزلة الوفاء والوقاية أقيمت على أنقاص الشجاعة والحيلة والمخادعة صارت أجدى من العمل والمجادة بل كل شئ حسن برز نقيض بعد أن ألبسوه ثوباً براقاً يشد إليه الأنظار ليكون الغاية التى يحيا الإنسان لتحقيقها .

أن العديد من الأفلام والبرامج تتنافى وقيمتنا الإسلامية بل تتنافى وأهدافها وتأثير هذه الأفلام على سلوك الأطفال مدمرة لأنها مشيرة للعنف فكيف نقيلبها نحن وكيف نمكن الأطفال لمشاهدتها حتى تنفذ إلى عقول الصغار والكبار معاً ! ثم كيف نقيلبها نحن والعنف فى ثقافتنا غير العنف لديهم ؟ العنف لديهم مرتبط بفلسفتهم المادية والعنف لدينا يحدد الإسلام أشكاله ومفهومه فى الإسلام : السلام ، المودة ، الرحمة ، ومساعدة الضعيف والمحتاج ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . فأين هذا كله من أفلام المصارعة والقذف بعبارات واضحة أو بطريقة خفية ؟ .

وناهيك عن الإعلان فهو يقوم على استخدام المرأة واستغلالها والهبوط بها إلى مرتبة دنيا فى عالم المخلوقات ، ولم تسلم أن تلصق صورتها على عبوا أصبغة الأحذية وتوضع فى سلال النقابات فأى إستهتار وخزى للمرأة يفوق هذا الخزى والإستهتار ؟ وهى التى كرمها الله .

الحد من تأثير البث المباشر :

هل يمكن فى ضوء ما ذكرته أن تكون هناك رؤية عربية مشتركة للتعامل مع البث الوافد والمباشر متمشية مع قيمنا الإسلامية ؟؟ .

إننى أرى أن الأمة العربية تمتلك من الإمكانيات الإعلامية والتكنولوجية ما يمكنها من التعامل مع هذه الظاهرة مثال : القمر الصناعى العربى القناة غزيرة الإشعاع ، شبكات الميكروويف ، خطوط الإتصال الأرضية المحمولة وغيرها .. وهى كلها إمكانيات لو أمكن

تحقيق الإستغلال الأمثل لها لأمكننا تحقيق مبدأ تحدى البث المباشر . وذلك برسم خريطة علمية وبالطبع أول عمل تقوم به فى وضع الخريطة هى البدء بالتخطيط وهذا التخطيط يقوم على النظر إلى المجتمع الإسلامى على أنه وحدة بشرية واحدة ووحدة جغرافية واحدة فالله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الأرض كوحدة وليست مقسمة إلى أجزاء ثم « قضى النظام أو إن شئت عدم النظام السياسى لعالمنا أن يقسم سطح الأرض كله أو على الأقل ذلك الجزء من سطح الأرض الذى لم تغمره البحار والمحيطات وتركته جافاً يابساً طافياً فوق سطح الماء استولى الإنسان على هذا اليابس وقسمه إلى وحدات سياسية بحيث لم يترك شبراً واحداً إلا أدخله فى واحدة منها ، وهذا التطور السياسى جعل العالم الإنسانى مقسماً إلى وحدات تختلف فى الحجم وعدد السكان وفى مواردهم الاقتصادية وفى حظهم من الرفاهية والرخاء والتعليم وقد ترتب على ما نشاهده من الاختلاف الكبير بين الدول أن أصبح بعضها يدعى الدول الكبرى .

وتتوقف كبر الدولة أو صغرها على المساحة وعدد السكان ودرجة الثقافة والتعليم وغيرها ... وإذا طبقنا هذه القواعد على مجتمعنا الإسلامى نجد سعة المساحة وكثرة عدد السكان وتعليم وثقافة فى أماكن واضمحلالها فى أماكن أخرى .

أقصد من هذا أن الإعلام ووسائل الإتصال بال جماهير لكى تنجح فى مهمتها وهى التحدى لما يبت من برامج وأفلام وغيرها لابد وأن ينظر العاملون فى هذه الوسائل إلى المجتمع الإسلامى على أنه وحدة جغرافية وسياسية وعقائدية وثقافية واحدة .

وذلك عن طريقة أن تقوم هيئة تمثل جميع سكان المجتمع الإسلامى لتتولى مهمة الإشراف على أجهزة الإتصال بال جماهير والعمل فيها فمصالح الجماهير الإسلامية واحدة وألامهم واحدة والذى يصيب بلد إسلامى يؤثر فى الأجزاء الأخرى من البلدان الإسلامية ومن أجل ذلك يحتاج المجتمع الإسلامى إلى أفراد إتصفوا بالجرأة يجتمعون معاً وينشدون مؤسسة إعلامية كبيرة تواكب هذه الأقمار الصناعية الوافدة . والغريب أن أبناء الخليج ودول البترول وجميع مسلمون لم يفكر أحد منهم على إنشاء مثل هذا المشروع المفيد مادياً ومعنوياً فى الدنيا وفى الحياة الباقية ولم ينتبهوا إلى خطورة هذا الإستعمار الجديد . واعتقدوا أن الإستثمار أنما يكون بالجيوش والمعدات الحربية ونسوا أن هذا الإستعمار

الأخير أهون أنواع الإستعمار فهو لم يستطيع البقاء فى أى جزء من المجتمع الإسلامى لأن إستعمار الأرض وسلب القوات . أما الإستعمار الجديد فهو أخطر وأشد تنكيلاً لأنه يستعمر العقول والنفوس ويقضى على الأخلاق ويسلب الأمانة ويستعمر . دون أن يراه أحد أو يمسه به سلام .

وأى عمل يحتاج إلى عنصر بشرى يقوم بتنفيذه وقبل أن نعد الإنسان يجب أعداد الأماكن التى سوف يتلقى فيها العلم ويتم فيها التدريب وهذه الأماكن العلمية تحتاج بدورها إلى أعداد مسبق لتستطيع تأدية ما يطلب منها والواقع أن المجتمع الإسلامى يملك عدة معاهد تقوم بإعداد رجال الإعلام والدعوة ففى مصر مثلاً جامعة الأزهر وكليات الإعلام وأقسامها التى تنتشر الآن فى ربوعها .

إذن لابد من مؤسسات علمية وعملية لإعدادهم وليس من المنطق أن ننشئ معاهد وكليات جديدة بل أرى أن نكتفى بتدعيم القائم منها وتطويرها حتى تتلاءم مع هذا العمل الجليل .

١ - ومن هنا نجد أنه لابد من تقوية البث القومى ببرامج يمكنها استقطاب المشاهدين واحتوائها والعمل على تدعيم تبادل البرامج بين الدول الإسلامية مع ضرورة تكامل الخبرات والامكانيات وبث برامج خاصة للأطفال تربي فيهم المبادئ القومية وتطلعهم على التاريخ المشترك لأمتهم وتغرس فيهم القيم والتقاليد الإسلامية .

٢ - إعداد برامج خاصة للشباب والرياضة بهدف تدعيم الروابط بين الشباب بإعتبارهم نصف الحاضر وكل المستقبل .

٣ - الأمر الذى ينبغى أن يوضع بين أعين المؤسسات الإعلامية فى بلادنا أن طلبية الغرب وشيوعية الكتلة الشرقية على اختلاف المفاهيم بينهما تعملان معاً على أن تلهو الأمة الإسلامية ويطول بها اللهو فتنسى نفسها ودينها وتاريخها ومجدها وتعبث مع العابثين .

فهل لنا أن نكون على حذر فلا نبعث ولا تلهو ، وإنما يكون الترويج كما أمر الله وأن ترفرف راية الإسلام على البرامج كلها ثقافية أو ترويجية كلها مستمدة من الدين الخفيف الذى إرتضاه الله سبحانه لعباده .

ونأمل ألا تلجأ الوسائل الإعلامية إلى تقليد الغير ، السير في ركاب الضالين ولكن ينبغي أن يكون اتصالها على بصيرة ووعى إتصال مبعثه إيمانها بدينها وإصرارها على الاحتفاظ بالطابع الإسلامى .

وتقوم كذلك بتصحيح القيم والدعوة إلى دين الله فى الداخل والخارج والنهوض بالمسلم فكراً ومعنوياً والخروج به من هذا الخضم المتلاطم من الأفكار الزائفة والفلسفات المتباينة من حوله إلى نور الحق وإلى صراط مستقيم ديناً قيماً . فلا إفراط ولا تفريط ولكن سيراً على طريق الحق .

فعلى المؤسسات الإعلامية أن تعيد للثقافة مكانتها المرموقة وأن نتخير الوقت المناسب لها وأن تقدر رجال العلم فإن الخدمة الثقافية اليوم فى الدول النامية تكاد تكون مختلفة إذا ما قورنت باللهو ووسائل الترويح وهذا يؤدي إلى إختلال التوازن وفساد الأذواق إلى إيجاد جيل يلهم كثيراً ولا يعرف الجد إلا قليلاً واختلال التوازن هذا تسعى الدول الكبرى إلى تدعيمه حتى تظل الأمم فى عفتها ضعيفة لاهية ويكون لها الغلبة والكبرياء فى الأرض والسيطرة عليها ثقافياً وعلمياً ومادياً .

فوكالات الأنبياء العالمية التى قد العالم الإسلامى وغيره بالأنبياء تمتلكها الدول الكبرى وكذلك الأقمار الصناعية التى تعد فتحاً كبيراً فى مجال المؤسسات الإعلامية لما لها من القدرة على نشر الأخبار وربط العالم بعضه ببعض برباط واحد وهذا يدعونا إلى التأمل والحذر وأن نفكر طويلاً فى كيفية بناء مؤسساتنا الإعلامية وسط الضباب الغريب من حولنا الذى ملأ علينا الأجواء بأفكار غير مرغوب فيها وأن نرجع إلى تاريخنا وننظر إلى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين وأن ننظر كيف بنى هذه المؤسسات ؟ وعلى أى أساس بنيت ؟ أمن الإيمان أم من التقليد للغير ؟ وكيف بنى العاملين فيها فكراً وعلمياً وخلقياً ؟ .

ذلك حتى يكون البناء مشيداً عالياً ، يرتفع بالحق وقد أقيم على الحق والهدى والنور ، ينشر الحق فى ربوع الأرض ، أساسه التقوى والقول الصادق والعمل الصالح ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا قولاً وعملاً .

وأخيراً نتساءل ما هو مستقبل العالم الإسلامى فى ظل هذا الغزو الثقافى ! غنى عن البيان أن المستقبل مرهون بمعرفة ماذا نأخذ وماذا نترك ولكن الكثيرون فى العالم

الإسلامى أصبحوا مستغربين بحجة الحضارة والتنوير القلة القليلة المتمسكة بتقاليدها الإسلامية تتهم بأنها متخلفة فلن يكون للعالم الإسلامى مستقبل إلا إذا احتفظ بقيمة وبعلامه الأساسية التى تقوم على القرآن الكريم والسنة .

علماء المسلمون الأوائل كانوا لا يكتفون بالصلاة فى المساجد والقيام فى البيوت وقراءة القرآن بل بعد ذلك كانوا يصلون صلاة من نوع آخر فى المعامل والمصانع وقد اعترفت أوروبا بفضل العلماء المسلمين فحتى اليوم لا يزال تمثال ابن سينا وتمثال ابن رشد على أبواب جامعة السربون وقد تقدم المسلمون فى الطب والجغرافيا والفلك والهندسة وغيرها ولهم إسهامات لا يزال العالم يستفيد منها حتى الآن فهؤلاء كانوا يتعاملون على القرآن بوجه عمله واحدة أما نحن الآن فبدأننا نقلد الغرب ، وتركنا منهج القرآن ، فمثلاً معظم الكتب التى تباع الآن تتحدث عن العلاج بالقرآن وعن السحر والجان وهذا جزء من الغزو الثقافى فهذه الكتب ورائها أيد خفية لخلق البلبلة والاضطراب فى العالم الإسلامى وإبعاد المسلمين عن جوهر الدين .

سادساً : استشرافات المستقبل للتحديات الحضارية المحدقة بالأمّة الإسلامية :

يتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

مقدمة :

تواجه الأمّة الإسلامية سيلاً منهمراً من التحديات العاتية والتهديدات السافرة ، وهى محدقة بها من كل جانب .. مستهدفة كيانها وعقيدتها ورجالها تلك أن أعداء هذه الأمّة يرون فيها بمنظار الحقيقة التى لا نراها نحن للأسف .. قوة وغلبة .. وعزة ومنعه .. إن هى أخذت بالأسباب وتجمعت عناصرها .. حتى ذهب كبراًؤهم إلى إعتبار الإسلام وهو عصب هذه الأمّة خطراً عليهم ، فقد كتب ريتشارد نيكسون فى كتابه « الفرصة السانحة » يقول : « لقد قضينا على خطر الشيوعية ولم يبق أمامنا إلا خطر الإسلام » .

هذا هو الموقف المعاصر .. وفى ورقتنا هذه نحاول فى تبسيط غير مغل أو مقل أن نوضح عناصر التحديات وإبراز نقاط يستشرف فيها المستقبل .. والله من وراء القصد .

أولاً: توطئة فى ماهية استشراف المستقبل :

أصبح استشراف المستقبل فى العلوم الاجتماعية أمراً بالغ الأهمية ، بل أن أدبيات هذه العلوم أرتبطت بالمصطلح إرتباطاً تلازمياً ، وذلك ليس بمستغرب ، وبخاصة إذ إستقر فى الأذهان أنه لا علاقة له بالرجم أو التكهن ، فهو إجتهد علمى منظم يرمى إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة التى تشمل المعالم الرئيسية لمجتمع ما أو مجموعة من المجتمعات عبر فترة زمنية لا تزيد عن عشرين عاماً ، وهو نفس الوقت مناقشة بدائل مصير مجتمع ما بإعتباره نسقاً متكاملاً معتمداً فى ذلك على الأساليب العلمية فى إطار إدراك وفهم وتحليل الماضى ومروراً بالحاضر والتعرف عليه بدقة وأناه وإدخال كل المتغيرات المحيطة والعوامل المؤثرة فى الحساب .

ولا شك أن استشراف المستقبل يعد من الأمور بالغة الأهمية والأثر لدول العالم الثالث ، ذلك أن هذه الدول مرتبطة بالدرجة الأولى ، بل ومرتبطة مصيرها بعمليات التنمية الشاملة التى تستغرق زمناً أطول من ذلك المدى الطويل أيضاً والمتعارف عليه فى التخطيط الاقتصادى .

والاستشراف أيضاً ، مرتبط بالحاضر ، ويستدعى هذا الارتباط أن تكون هناك تصورات أو مشاهد عن احتمالات هذا المستقبل بصورة وأشكاله ، وحتى لا تخرج أى إجتهداته بحثية كمجرد توصيات نظرية أقرب للتسطح أو أنأى عن الواقعية . وإحكاماً لواقعية هذا الاستشراف المستقبلى فإنه يجب أن يكون عاملاً وسط المتغيرات الدولية المتلاحقة ، وذلك أن أبعاد البيئة الدولية تشكل عناصر أساسية بالنسبة لأبعاد المستقبل .

وبصفة عامة يمكن القول أن المستقبل ليس منبت الصلة بالحاضر ، بل أنه يصنع من إمتداد وتجسيد وتكبير لأمور ومسائل تقع اليوم ، أو يكون محكوماً برغبة تطويعه لمقتضيات جديدة أو ردة فعل حادة لنقل الناس من طور إلى طور جديد ، من حياة المجتمع . وقد يكون مزيجاً بين ذلك كله مع تفاوت قوة الظهور .

ومن ناحية أخرى فإنه بات من غير المقصود أن يعزل قوم مجتمعاتهم عن العالم ،

وبخاصة وسط الأزدية والنمو المضطرد لعوامل ووسائل الاتصال ، والتداخل فى إطار نظام عالمى يوجهه ويجنى ثماره أقل من خمس سكان الأرض ، وذلك يعنى أن أى جماعة لا تفرص على صياغة مستقبلها لن تترك شأنها ، وإنما سيفرض عليها المستقبل الذى تريده لها القوى المسيطرة .

وتأسيساً على ما سقناه فإن المسلمين فى بقاع الأرض ، وهم المحاصرون بتحديات لا أول لها ولا آخر مطالبون بكل ما فى العلم من مدركات ومعارف أن يستشرفوا مستقبلهم وأن يتعرفوا على الخطى والدروب ، لا نقول لتحاشى هذه التحديات بل لتحديد موضعهم على خريطة العالم بصورة فاعلة ومؤثرة .

إن مجتمعنا الإسلامى رغم وجود رواسخ وثوابت ثقافية تضرب بجذورها فى عمق التاريخ ، وتحدد أبعاداً حضارية متميزة ، إلا أن هذا المجتمع بحكم السيطرة الإستعمارية واستخدام أدواتها المتعددة أصبح لديه القابلية للإختراق الثقافى ، ولعل نماذج التعليم المتاحة حالياً فى معظم هذه الدول تؤكد ذلك ، فمعظمها غريبة الشكل والمضمون ، وإن عدلت فإن التعديل يأتى مشوهاً ومبتوراً حتى أنه يقال فى هذه الحالة ليتها تركت وشأنها لكان أفضل .. وتلك مسائل لا تحتاج لتأكيد ولا يقوم فيها الغرب بجهد مضمّن ، بل تحتاج منه لجهود قليلة ، ونحن نتولى بقية الجهد أو معظمه ، وليس من سبيل المبالغة القول بأن دولاً كثيرة تزدهر عندما تعتقد أن واجهتها طلبت بفرشة التغريب فتبهر بنفسها .. وتبعد عن أصولها وهى فى الواقع تائهة بين تيه الغرب .. وأصول الشرق ، وما يضاعف من تلك التحديات أن محصلة الفكر لدى الدول الإسلامية أصيبت بحالة لا أقول من التخلف ، بل من الوهن والشبخوخة رغم أن لديهم أعظم وأسمى مصادر الفكر حيث سمو ورفعة فكر وحضارة الإسلام ، ودون الولوج إلى تفاصيل كثيرة فإن المحصلة أن هناك تدهوراً وتخلّفاً فى مستويات الثقافة والتعليم وتباين فكرى تام بين ما هو حادث فى دول الغرب وما هو قائم لدى دول المسلمين ، فلو ضرينا مثلاً بقطاع هام كالتعليم ، نجد أنه يمثل لدى الدول الإسلامية خدمة تتكفل الحكومات بالإضطلاع بها ، بينما تنظر الولايات المتحدة الأمريكية إليه باعتباره استثماراً ، وتعليمه فرنسا على الدفاع فى ميزانيتها . ويرتبط بهذا الخلل الفكرى والتخبطى ، خلل آخر يسود منظومة القيم الإسلامية وذلك نتيجة فقدان الارتباط بالثوابت الإسلامية ومصادرها الشرعية والفكرية ، ففقدت قيمة الصدق ، وإتقان العمل ، والعلم لله وللخدمة الأمة ، كما انتشرت الثقافة الهابطة ، إذا جاز التعبير وعم الفساد

الخلقى ، وسادت قيم الأنانية والرشوة والغش ، واستنجر الضمائر والعقول بل وبيعهما فى سوق النخاسة الإنسانية .

ومما يضاعف من أثر ما أصاب المنظومة الفكرية الإسلامية ذلك الاختراق الثقافى والفكرى ، الذى يمثل غزواً وافداً عبر البرامج والمضامين التى تبثها الدول صاحبة الأقمار الصناعية ، وهى تلك التى تتمثل فى :

١ - محاولة اختراق العقيدة الإسلامية ، وفصلها عن الحياة :

حيث يرى معظم الغربيون أن تمسك الشعوب النامية بالدين هو السبب وراء تأخرهم ، وما هم فيه من تخلف وفقر ، ولا يمل هؤلاء من تذكير العرب والمسلمين بمقارنة حال أوروبا فى العصور الوسطى وما سادها من تخلف نتيجة سيطرة الكنيسة ورجال الدين ، وحالها بعد إنطلاقها فى عصر النهضة وتخليها عن الكنيسة غير عابثة برجال الدين ، وبذلك فهم يحاولون إقناع المسلمين بأن الدين وراء تخلفهم ، فضلاً عن أنهم يحاربون العرب والمسلمين وإدخال الضعف فى روحهم وزعزعتهم عن عقيدتهم التى ترفض الكفر والإلحاد والإستعمار والذل والهوان . وتعمل القوى المعادية فى هذا الإطار العدائى مستخدمة وسائل متعددة تقليدية وحديثة ، من بينها استخدام قنوات تليفزيونية تنصيرية تهدف بالأساس إلى دحض العقيدة الإسلامية ، وشن حملة شعواء على الإسلام ودعوة المسلمين إلى التعرف على المسيحية لعل البعض يدخل فيها . ويواكب ذلك تشويه حقيقة الدين الإسلامى مع تمجيد القيم الغربية المادية والدعوة للتحديث والبعد عن قيم الماضى ، بل وصل الأمر للنيل من شخصيات إسلامية بارزة ولها جلالها ووقارها . بل لقد حاول البعض أن ينال من رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم .

ولقد لعب الغزو الثقافى سواء المباشر أو غير المباشر دوراً لا يستهان به فى محاولة لنقل زمام المبادرة الإعلامية والثقافية من بعض دول العالم الإسلامى والتى كانت تعد منارات إشعاعية إلى مناطق أخرى خارجة عن إطار العالم الإسلامى .. وذلك ليعلى من شأن نفسه والآخرين ، ولبحيل المنارات الإسلامية إلى مناطق خافتة . ولقد إرتكز هذا الغزو على عديد من وسائل الإتصال سواء بالث مباشر أو بتبسيط الحوار بين الأديان بغية

دعم التفاهم المسيحي اليهودي ، وكذلك بتذويب العداء العربي اليهودي ، وغنى عن البيان والتفصيل أن الولايات المتحدة الأمريكية تضطلع بدور كبير في هذا المجال .

٢ - النظام العالمي الجديد وزيادة العداء للإسلام :

مع موجة التغيرات التي يشهدها العالم حالياً ، ومع إنتهاء الحرب الباردة بين القوتين العظميين ، هبط العداء الغربي تجاه الشيوعية إلى درجات أدنى واحتل مكانة عداء الغرب للإسلام وذكر المعاديين للإسلام بأن هذا هو العداء الحقيقي والمنطقي بينما كان العداء للشيوعية يمثل مرحلة استثنائية ، ويات الإسلام والمسلمون مستهدفون ، فأصحاب سفينة التغيير وريانها ينظرون للأمة الإسلامية بإسلامها ومسلميها نظرات دون المستوى الإنساني ، تحمل في طياتها عداء وكراهية ، فهم يرون في الإسلام عقبة أمام التوسع والاستقرار .. وفي ذلك يقول لورانس براون : « لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي ، والخطر الأصفر ، وبالخطر البلشفي ، إلا أن هذا التخويف كله لم نجده كما تخيلناه .. الخطر الحقيقي كامن في نظام السلام وقدرته على التوسع والإخضاع » .

كما أنهم يرون أن المسلمين يحملون رايات الجهاد في أي وقت وبمسالة وإن غشاهم ما غشى في فترة من الفترات إلا أن تاريخهم يؤكد أنهم أشداء على أعدائهم ، وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك ثمة إجماع لدى الغرب على أن الإسلام يمثل تهديداً للحضارة الغربية ، وهذا الفكر أو الصورة السلبية عن الإسلام تسود أكثر من غيرها ، وهي صورة لا تمثل حقيقة الإسلام وإنما تمثل ما تعتقده القطاعات المسيطرة في تلك المجتمعات . كما أن القوى المعادية للإسلام ترى أن هذا الدين دين إرهاب وحرب وليس دين سلام .

وليت الأمر قاصر هلى هذا الفكر أو تلك الرؤى التي يمكن أن يقال أنها أفكار فردية أو رؤى متفرقة ، ولكنه فكر مخطط ومجمع .. ولقد تأكد ذلك في تقرير للجنة التخطيط الإستراتيجي المتكامل بالولايات المتحدة الأمريكية ، صدر عام ١٩٨٨م ، والذي انتهى إلى ضرورة وضع تصور جديد لمصادر تهديد الأمن الغربى ، وحدد التقرير هذه المصادر ومن بينها المد الإسلامى .. وليس الأمر قاصر أيضاً على الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أكدت إحدى المصادر الألمانية على أن « إنتفاضة العالم الإسلامى صوت نذير لأوروبا » .. كما يؤكد ذلك المستشرق « كارادى فو » بقوله : « إن الخطر الكبير الذى يهدد الدولة

المسيحية فى علاقتها بالعالم .. هو الإسلام فى مجموعته ... وأنه يتعين شق العالم الإسلامى وكسره وحدته الأخلاقية ، وأن تستخدم لهذا الغرض الإنقسامات العرقية والسياسية » .

ولقد أبدى الغرب تخوفاً وقلقاً من آثار النمو السكانى فى البلاد الإسلامية وأثر ذلك على أمن دول أوروبا ، وكذلك موجات هجرة المسلمين سواء من المغرب العربى أو تركيا إليهم باعتبارهم قوة يمكن أن تكون مؤثرة .

وهذه العوامل مجتمعة تضع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بأكمله فى حالة تحدى سافر .. خاصة وأنه يمثل بالإضافة إلى ما ذكر خوفاً ورعباً لليهود والصهاينة ، وليس هذا التحدى يمثل شعاعاً يرفع بقدر ما هو حركة فاعلة للقضاء على هذه القوة من خلال تشويه صورتها واستخدام كل الأساليب المباشرة وغير المباشرة لإحكام سيطرتها عليها والعمل على تشردمها وإهدار طاقاتها وجعلها بلا مضمون ولا فحوى .

ذلك أن استشراف المستقبل ليس مجرد قراءة سواء كانت متأنية أو عاجلة لما ستأتى به الأيام بل نعنى به هنا اعداد وقراءة ورقة العمل الإسلامى التى يجب أن تكون جاهزة وواضحة للاقتااة التحديات الحالية والمستمرة وإن كان بحث كهذا هو أقرب إلى كونه ورقة عمل منه دراسة متأنية عميقة لا يمكن أن يفرد مقترحات ورؤى لكل الكبوات والتحديات على التفصيل والوضوح الواجبين ، فقط سنحاول إبراز نقاط عامة يمكن أن تكون منطلقات لدراسات أكثر تفصيلاً وتمثل هذه النقاط فى التالى :

١ - ضرورة العمل على المصالحة الإسلامية الشاملة ، ولا يتأتى ذلك دون مصارحة أولاً ودون صدق النوايا لدى أولى العزم ، فالتمزق سيسعد الأعداء .. ولن يجنى المسلمون من ورائه سوى الدمار والخراب .. ومن بين أوليات مبادئ الإسلام الإخاء والتعاون والتماسك والتآزر .. ولا بد أن يجعل المسلمون من كل هذه المعانى والكلمات الساكنة حركة دائبة تخلق على الأقل اتفاق الحد الأدنى من الإرادات ، سواء تم ذلك على المستوى الثانى أو الجماعى أو فى اطار المنظمات الدولية كمنظمة المؤتمر الإسلامى أو جامعة الدول العربية والتى يجب تطويرهما حتى تكونا مواكبتين للمتغيرات وصالحتين لمواجهة التحديات وفوق ذلك لتمثل الأمة الإسلامية فى اطار تكاملى منظم يعبر عن آمالها ويمثل مركزاً لها ويكون صوت هذه الأمة موحداً ورأيها مجمعاً يتفق

على ما ينفعها ويرفض ما يوهنها ، وسوف يؤدي ذلك بالضرورة إلى أن قرارات هذه الأمة سوف تكون معبرة عن أهدافها ومصالحها ومتسق مع مبادئها .

٢ - في إطار ما قد يصيب هذه الأمة من جراء تطبيق اتفاقية « الجت » فإنه يمكن الخروج من مشكلات وسلبيات التطبيق وذلك باتباع عدة إجراءات جادة تتمثل في تنمية الصادرات واستمرار الحماية للصناعة والخدمات المحلية مع تعاون رجال الأعمال في الدول الإسلامية في إطار من التنسيق فيما بينهم لمجابهة المنافسة الخارجية وتحسين الجودة وتنمية المنتجات ذات الميزة التنافسية ، وتنمية القدرات البشرية العاملة ، وإزالة معوقات الإنتاج .

وبجانب ذلك كله تبرز آمال كبيرة مرتبطة باقامة سوق إسلامي كبير إلا أنني أعتقد أن هذا الأمر بعيد عن استشراف المستقبل القريب المنظور .. وإن كان يمكن إتخاذ إجراءات لإنشاء قاعدة بيانات تشمل حصراً كاملاً بكافة الإمكانيات المتوافرة لدى مجموعة الدول الإسلامية سواء كانت قوئل أو تكنولوجيا أو ثروات طبيعية وبشرية .

٣ - ضرورة العمل على تصحيح صورة المسلمين لدى الغرب وذلك ليس بإعلام مستشاط غيظاً أو منفعاً كدماً وحزناً ولكن بإعلام واع وفكر ناضج وحج مستنيرة تدخض المقترحات وتعري الزيف ، وبذلك بالحسنى - والمسلمون جميعاً مطالبون هنا بالتصدي لبحث أسباب عدااء الغرب ومناقشته في إطار حوار علمي جاد وباستخدام كل ما أتاحه العلم من وسائل لازمة وتأسيساً على محددات ومنطلقات ثابتة ، وذلك يستلزم بالدرجة الأولى لا نقول تحديد منهج الحوار والاقناع والرد والدفاع بل يستلزم بداية تحديد المفاهيم والمتغيرات المستحدثة فضلاً عن تحديد أبعاد وصور السيطرة والهيمنة الموجودة وهل ستنفرد بها قوة واحدة أم أكثر .

٤ - يستلزم ما سبق ضرورة تحديد أدوار إدارة الصراع ، وبالتالي التعرف على الإمكانيات المتوافرة لدى المسلمين أولاً وكيفية إيجاد تنسيق كامل بينها ، وكيفية إدارتها في وقت الاسترخاء وعند الأزمات ، ويستلزم الأمر عند حصر الإمكانيات اضافة البعد الحضاري والقائم على تكريم بنى آدم وعدم الإكراه في الدين مع الإرتقاء إلى مستوى القيم العقديّة السامية والحضارية الأصيلة ، وذلك يضيف جهداً مطلوباً من الأمة الإسلامية وهي العودة إلى قيمها .. وبالإضافة إلى ذلك فإن الجامعات الإسلامية

مدعوة للبحث باستفاضة وعمق عن كيفية وجود مكان فاعل للعالم الإسلامى ضمن ما يجرى فى العالم الآن ، وعلى أن يتمكن من استيعاب كل العلوم والمعارف الهادفة لخدمة الإنسان والاستفادة من التكنولوجيا الحديثة فى هذا الاطار ، خاصة وأن الحضارة الإسلامية لم تمنع من الأخذ من الحضارات الأخرى بما يناسبها ويناسب شريعة الله .

وبجانب ذلك فإن الجامعات الإسلامية مدعوة أيضاً لمعرفة أسباب التخلف النسبى العلمى عن الغرب .. ذلك أن من بين هذه الأسباب تقاعس المسلمين وتفصد عراهم .

٥ - العمل بفكر مستنير على تخليص المسلمين من تلك الشراك التى نصبها لهم الآخرون بوعى وأوقعوا فيها أنفسهم بدون وعى ، وأصبحوا لذلك سجناء لتناقضات متعددة ما بين الدين والعلم ، والعروبة والإسلام ، والوطنية والقومية ، والأصالة والحداثة ، وتناقض بين الحاضر والماضى .. وما إلى ذلك من تناقضات دفعت إليها الأمة بعد أن أحكم اشراك لها .

٦ - العمل على مواجهة حركة التنصير التى انتشرت فى كل بقاع الأرض تخاطب الناس وتلمس فيها أنات الضيق وآثار الفقر المدقع والتخبط الحضارى وغياب الوعى والفهم الإسلامى لدى هؤلاء الناس .. وغيابه من المناهج التعليمية ، ولنا أن ندرك أن دولاً أفريقية وأسيوية متعددة تسيطر فيها الكنيسة ويجول فيها المنصرون ويسيطرون على قطاعات التعليم ، وتأتى الخطورة هنا من أن التعليم فى عصور التخلف ويمنتها يكون تعليمًا ، مأزوماً وعقيماً ينتج خطراً ودماراً حيث ينتج إنساناً بغيرياً مقهوراً .. وهو تعليم خالى المضمون ولكنه يحمل شعارات براءة بعيدة عن الكيف الحقيقى والفاعل ، وهكذا يصبح التعليم فى هذه الدولة وسيلة لتحقيق هدف المنصرين وفى نفس الوقت يتحول إلى مشكلة من مشكلات التخلف ذاتها .. والجامعات مدعوة هنا للأخذ بأسباب التصحيح ليس فى الشكل أو المسار ولكن فى الهيكل والمضمون بحيث تحقق هدفاً وهو تحقيق مخرجات إسلامية نقية . ويمكن أن يتم ذلك فى اطار تطوير مناهج التعليم بحيث يكون هدفها واضحاً ومحددًا وعلى سبيل المثال يمكن أن تتناول التنشئة الدينية المستنيرة وتنمية الهوية الثقافية ، وكذلك أعمال التفكير

العلمي والعقلاني والنقدي ، وتنمية قدرات الفرد على إحداث مواجهة ، ومواجهة التحدي ، مع تنمية الاعتزاز بالقيم والسلوكيات الإسلامية وتنمية الصحة والنفس لضمان سلامتها .

٧ - ويقودنا العامل السابق إلى نقطة غاية في الأهمية وهي المتعلقة بالإنسان المسلم وكيف يمكن تنقية فكر وإعادة ترتيب ذهنه وغسيل نفسه لتنقيتها مما يكون قد علق بها ، أو بمعنى أوسع إعادة بناء الإنسان المسلم بكل مقوماته ليكون هدف ووسيلة التنمية في العالم الإسلامي ، وأن تكون هناك استراتيجية محددة لتربية وتحرير وتنقيف الإنسان المسلم في العالم الإسلامي ، ذلك أن الإنسان الضعيف روحياً ومعنوياً ومادياً ، ليس بقادر على مجابهة أي تحدي فضلاً عن عزوفه عن الالتحاق وبعده عن الإجابة ، وإن كان ذلك يستلزم عدة محاور لا ترتبط بالتعليم فحسب ، بل ترتبط بتطوير النظم السياسية في عديد من الدول الإسلامية لخلق مناخ ديمقراطي حقيقي ، وتحقيق المشاركة السياسية الفاعلة وتحفيز الولاء والعمل من أجل صالح الناس جميعاً .

٨ - الجامعات الإسلامية مدعوة للبحث بجدية وبكل ما تملك من أساليب علمية عن التفكك لدى المسلمين والتعرف على العوامل سواء من ناحية المسببات أو المقدمات أو الآثار ، وكيفية التصدي لذلك ، وأهمية وجود مد إسلامي قوى وحركي وفاعل يستلزم الأمر تقييمه دوماً ومتابعة مسيرته باستمرار بأسلوب ومنهج علميين ، وذلك يستلزم أيضاً بل وبالدرجة الأولى بحث صياغة وتطبيق استراتيجية عالمية للدعوة للإسلام والتبصير بحقيقته ، وأنه ليس دين ارهاب أو تطرف بل إنه يعمل على إعلاء هامات الناس وكرامتهم ، ولقد ضمن لهم رجالاً ونساءً حقوقاً إنسانية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان وقبل أن تعرف أوروبا هذه الحقوق أو تقترب منها ، بل كانت تعاني في ذلك الوقت مرارة الاستبداد والتحكم والسيطرة والعبودية .

واعتقد أن هذه الأبعاد أو المقترحات يمكن أن تكون نواة محاور ومنطلقات لبحوث ودراسات أكثر عمقاً وأدق تفصيلاً ، ويأتي ذلك في إطار أعمال رابطة الجامعات الإسلامية ، بل وعلى وجه التحديد ضمن أول أهدافها وهو العمل على تنمية الروح الإسلامية وإشاعتها ، والاعتزاز بالقيم الإسلامية والتمسك بها .

سابعاً : التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى فى القرن المقبل ودور الجامعات الإسلامية :

يتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

١ - الجذور التاريخية للتحديات الحضارية .

٢ - التحديات الحضارية الراهنة .

٣ - دور الجامعات الإسلامية تجاه هذه التحديات .

ثامناً : المشروع الإسلامى وأساليبه الجهادية فى مواجهة النظام العالمى الجديد ويتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

إن الجبهات الزاحفة على العالم الإسلامى والعالم الثالث كله ثلاث جبهات رئيسية

هى :

أولاً : الجبهة التغريبية المادية العلمانية التى يمثلها مجتمعة حلف الناتو (الأطلنطى) ، الذى أبقى على نفسه لمقاومة الإسلام ، والمد الأصولى المتطرف الذى اخترعته أجهزته .

ثانياً : والجبهة الثانية هى جبهة الفاتيكان ، والكاثوليكية .

ثالثاً : والجبهة الثالثة هى الجبهة الصهيونية العالمية ، التى نظن - وهى محقة إلى حد كبير - فى أنها تتركب العالم المسيحى لتحقيق أغراضها .

أولاً : الجبهة التغريبية العلمانية :

مع بداية العام الميلادى ١٩٩٥م وتولى (ويلى كلايس) منصبه كسكرتير عام لحلف الأطلنطى (الناتو) ، أصدر (ولى كلايس) تصريحاً يمثل تهديداً واضحاً معلناً بدء الحرب العالمية على الأصولية الإسلامية ، وقد اقترح أن يساعد الحلف فى حربه العالمية على الإسلام - مبدئياً - خمس دول شرق أوسطية هى تونس - أولاً - ثم مصر والمغرب وموريتانيا وإسرائيل ... وعندما أدرك (ويلى كلايس) أن تصريحه يمكن أن يوقظ المسلمين أو يوحد صفوفهم ، حاول التخفيف من تصريحه قائلاً : إن الإسلام ليس هدفاً :

وإنما الأصولية والأصوليون هم الموضوع . وقد حاول مندوب الأهرام فى روما (ميشيل راجاتا) المشاركة فى عملية التضليل والتميع فكتب فى جريدة الأهرام تحليلاً يحاول فيه تحسين صورة (ويلى كلايس) ، زاعماً بأن (ويلى كلايس) يحاول مد حُسن الحوار مع هذه الدول الخمس ؛ لكى يواجه حلف الأطلنطى المشكلات الجديدة بالحوار من أجل الأمن الأوروبى بعد أزمة البوسنة وأعمال العنف والإرهاب فى بعض دول البحر المتوسط ، وأشار ميشيل راجاتا مندوب الأهرام المتطوع بالدفاع عن (ويلى كلايس) إلى أن كلايس لم يقصد بتصريحاته الدخول فى حرب مع الإسلام ، ولكنه يخشى التطرف لأنه قد يتحول إلى عنف وإرهاب ، كما يخشى انتشار أسلحة الدمار الشامل كما فى حالتى العراق وكوريا الشمالية - دون أن يذكر إسرائيل - ومع ذلك حاول مندوب الأهرام فى روما (ميشيل راجاتا) تبرير هذا بأنه قد يثير مسألة إسرائيل فى اجتماعه مع مندوب إسرائيل والدول الأربعة العربية عندما يجتمع بهم فى بروكسيل !!

وتشاء عناية الله أن يقوم الدكتور مصطفى محمود - جزاه الله خيراً - بتعرية تصريحات (ويلى كلايس) فى العدد نفسه من جريدة الأهرام فى مقال بعنوان (التاريخ يسرع الخطى) قائلًا : «إن الإسلام يا سادة هو الهدف ، وإن الشحن المستمر لمشاعر الاستفزاز والكراهية والرفض العالمى لكل ما هو إسلامى أمر مخطط له ، ومبرم بليلى ؛ وذلك لتجىء حركة حلف الأطلنطى فى حرية العلنية على الإسلام تتويجاً طبعياً ونجده متوقعة ومطلوبة لإنقاذ العالم من تهديد أخطر من التهديد الشيوعى ، وكارثة أخطر من الطاعون الدملى اسمها الأصولية الإسلامية .. إنه الإسلام ذاته هو المراد اصطياده بطعم الإرهاب ؛ وأين العشرات أو المئات الذين راحوا ضحية الإرهاب (الإسلامى) على حد تعبيرهم من الثلاث مائة ألف قتيل والثلاثة ملايين مطرود ومشرّد بفعل العدوان الصربى المجرم فى البوسنة الذى تجاوز حدود العدوان إلى الاغتصاب وحرقت الأطفال والأسرى أحياء ... على مسمع ومرأى من العالم ؟. دون أن تتحرك جيوش حلف الأطلنطى لتفعل شيئاً حاسماً لوقف تلك البشاعات وما زال نزيف الدم فى البوسنة المسلمة مستمرا ومن بعد ذلك فى الشيشان المسلمة ... والعالم يتفرج ... ثم لا ينفعل إلا للجرائم الفردية التى ترتكبها قلة من الأصولية !!

إنه الإسلام نفسه ، هو المطلوب الإتيان به فى السلاسل والقيود .

وهكذا يناشد الدكتور مصطفى محمود المسلمين - حكاماً ومحكومين - ونسأل الله أن يستجيبوا له - أن يتقوا الله فى أمتهم وألا يفقدوها إلى الانتحار الجماعى ، وألا تقف

أجهزتهم الرسمية فى خندق أعضاء (الناتو) الذين يتهيئون لإقامة مجزرة جماعية للمليار مسلم بدعو التطوف والأصولية !!

ثانياً: الفاتيكان وتنصير العالم :

مع بداية التسعينات وسقوط الشيوعية بدأ الهجوم البابوى الواضح ضد الإسلام ، على أساس أنه إذا كانت الثمانينات لاسقاط الشيوعية فإن التسعينات مخصصة لاسقاط الإسلام وتنصير العالم ، ولهذا الغرض أصدر البابا يوحنا بولس الثانى وثيقتيه (روعة الحقيقى) و (ادخلوا فى الرجاء) وهو فى وثيقتيه الثانية يتحدث عن القرآن قائلاً : إن أى شخص يقرأ القرآن وهو على دراسة مسبقة بالعهد القديم والجديد ، سيلحظ بوضوح سياق الاختزال الذى تعرض له التنزيل المسيحى . ومن المحال ألا يصدم المرء من عدم الفهم الذين يظهر بوضوح فى القرآن لما قاله الله عن نفسه .. إن الله القرآنى تطلق عليه أجمل الأسماء المعروفة فى اللغة الإنسانية ، لكنه فى نهاية المطاف ، مجرد إله يظل غريباً عن العالم . أنه عبارة عن «إله جلالة» فحسب ، وليس أبداً (عمانويل) أى (الله معنا) .

وتعلق على هذا الكلام الذى لا يليق برجل فى هذا المستوى الفكرى والدينى الدكتور زينب عبد العزيز أستاذ الحضارة الفرنسية بجامعة المنوفية قائلة : « لا شك فى أن القاريء لهذه الإجابة لا يمكنه إلا أن يشعر بالامتنعاض ، ليس لما بها من جهل ومغالطات متكررة على مدى أربعة عشر قرناً فحسب ، بل لأنها صادرة عن البابا يوحنا بولس الثانى شخصياً ومتى ... فى نهاية القرن العشرين .

ثالثاً: المسيحية الصهيونية :

نجح اليهود - عبر تخطيط دقيق محكم - أن يدخلوا فى بنية الفكر الأوروبى كثيراً من المعتقدات والأفكار التى تحقق لهم تسخير المسيحية - ولا سيما البروتستانتية - لأهدافهم .

وقد نجحت الأدبيات اليهودية التى تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية فى ادخال ثلاثة مفاهيم أساسية تخدم اليهود ، وهى :

١ - الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار .

٢ - الإيمان بأن هناك ميثاقاً إليها سمردياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين .

٣ - ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيونية أى باعادة تجمع اليهود في فلسطين .

تاسعاً ، منهج التفكير الإسلامي في اطار تحديات النظام العالمى الحديث ،

يتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

يعيش العالم الإسلامى اليوم مرحلة حضارية حرجة ، وهو مقبل على مرحلة أشد حرجاً ، وأكثر تحدياً ، ولعل السبب الجوهري في ذلك يعود إلى أن هذه الكتلة البشرية المسماة بالعالم الإسلامى هي الوحيدة في العالم التى غلكت المقومات الحضارية والمادية البديلة للحضارة الغربية ، مما جعلها المصدر الأساسى لمخاوف مخططى النظام العالمى الجديد ، بل العدو الذى اتفقت كلمته على حربه .

في العالم الإسلامى - إذا - شيء آخر غير الثروات الطبيعية والبشرية يهدد هذا النظام الجديد ، أنه بصراحة «الإسلام» ليس الإسلام بوصفه ديناً فكم من ديانة في الشرق والغرب لا يؤبه لها ولا يحسب لها حساب ، لكن الإسلام بوصفه منهجاً في الفكر ، وفي الحياة ، وفي المعرفة . النظرية المعرفية الإسلامية هي مصدر الخطر على النظرية المعرفية الغربية ، لأن هذه النظرية الإسلامية تجعل المسلمين يفكرون بطريقة ليست مختلفة عن طريقة التفكير الغربية فحسب ، بل مناقضة لها ، وتؤدي إلى نتائج مختلفة عن نتائجها ، إلى درجة تجعل صاحب المنطق الإسلامى يختلف عن صاحب المنطق الغربى في الأسس والمسلمات ، فما يراه الغربى صواباً قد يراه الشرقى خطأ ، وما يراه الغربى أسود قد يراه الشرقى أبيض ومن ثم أدرك مفكرو النظام العالمى الجديد أن تقدم النظام المعرفى الإسلامى وشيوعه وتفوقه لن يكون في صالح النظرية الغربية ولن يتتلمذ عليها .. كما هو الشأن مع اليابان وروسيا مثلاً . بل سوف يكون على أنقاضها ، فالمنهج الفكرى الإسلامى لن يكون امتداداً للمنهج الغربى لأنه بديل له ، ولذلك فإن التقدم الذى ينتظر من العالم الإسلامى أن يحارزه عن طريق هذا المنهج لا يقوم على تطوير المنهج الغربى أو تعديله ، بل على اقتلاعه من جذوره ، أو تفكيكه وهضمه .

وقد أدى الإنبهار الغربى بالعلم وما أحرزه من اكتشافات واختراعات مذهلة إلى أن اقتنع العقل الغربى بأن الحقائق لا يمكن اكتشافها إلا بهذا المنهج العلمى الذى أحرز كل

هذه الانتصارات ، فأصبح المعقول لديهم مرادفاً للطبيعى ، وأصبح الواقعى مرادفاً لما هو قابل للتجربة ، وأصبحت المادة نموذجاً مثالياً لأى موضوع للتفكير ، فما تنطبق عليها صفاتها صالح لأن يفكر فيه ، وما دون ذلك غير صالح للفكر وغير قابل للمعرفة لأنه غير موجود ومن هنا فإن الفكر الغربى استبعد من مجاله كل ما استبعده العلم من مجاله ، فحصر نفسه فى مجال الطبيعة ، والتزم بقوانينها ، وآمن بثبات هذه القوانين ، ولم يعترف بأى قوة تخرق هذه القوانين ومن ثم فإنه لم يعترف بالغيب .

مجمل القول ان النظرية المعرفية الغربية الحديثة تؤمن فقط بما هو طبيعى ، وما هو عقلانى وما هو مادى ومدرك ، وقابل للتجربة ، وما دون ذلك عندهم فهو خرافه ، أما بالنسبة للأشياء المجهولة فما كان منها خاضعاً للشروط السابقة فإنه سوف يعرف فى يوم من الأيام بالأساليب نفسها التى عرف بها المعلوم ، وما دون ذلك فهو غير موجود .

طبق الغربيون هذا المنهج العلمى على الحياة وعلى المجتمع وعلى المكونات الاقتصادية والنفسية والتشريعية وعلى الدين فاشمر هذا التطبيق نظريات اجتماعية واقتصادية وفكرية عديدة ، مثل نظرية العقد الاجتماعى عند روسو ، ونظريات دور كايم وليفى شتراوس ودارون وفرويد وماركس وانهارت على أعتاب هذه النظريات كل المعتقدات الدينية ذات الطابع الخرافى التى كانت سائدة فى الغرب فى العصور الوسطى ، وانهارت معها سيطرة رجال الكنيسة وعصر الاقطاع بكل ما فيه ، وتحمر العقل الغربى من وصاية رجال الدين ومن سطوة الكنيسة والدكتاورية فى وقت واحد .

وهكذا نرى أن النظرية المعرفية الأوروبية الحديث المسماة بالعلمية أو العلمانية تحتوى على جانبين :

الأول : منهج علمى خالص يستخدم العلم والعقل أدايتين للمعرفة .

الثانى : مذهب وعقيدة تقوم على عبادة العلم والعقل وترفض كل ما عداهما .

وقد أمتزج الجانبان فى عقول العلماء وفى حياتهم أمتزجاً خطيراً يعبر عنها جوتة فى مسرحية فاوست أدق تعبير حينما يصور (فاوست) بأنه قد باع روحه للشيطان فى سبيل المعرفة ، إن فاوست هذا هو الإنسان الغربى نفسه ، وأزمته ليست إلا أزمة الحضارة الغربية بوجه عام .

أما الإسلام فإنه يستخدم العقل استخداماً خاصاً يختلف عن الاستخدام الغربى له ، وينظر إلى العلم نظرة مخالفة ، فلا عقل كما يصوره لنا القرآن الكريم أداة بشرية لها قدرات محدودة وهى فى ذلك تشبه سائر المكونات الإنسانية ، فالعين مثلاً يمكنها رؤية الأشياء القريبة وتعجز عن رؤية الأشياء البعيدة ، والأذن تسمع الأصوات المرتفعة وتعجز عن سماع الأصوات المنخفضة ، وبالمثل فإن العقل يمكنه أن يدرك الأشياء التى تقع فى مجال إدراكه ويعجز عن فهم ما دون ذلك .

هذه المسلمة هى الركيزة الأولى فى الفكر الإسلامى ، وهى النقطة الأولى فى الخلاف بل التناقض بين النظرية الإسلامية فى المعرفة والنظرية الغربية ، فالثقة الزائدة فى مقدرة العقل الإنسانى أدت إلى عبادة العقل عن الغربيين ، أخرجتهم من عبادة رجال الدين فى القرون الوسطى إلى عبادة العقل فى العصر الحديث ، أما الإسلام فيعرف للعقل حدوده ودوره فى حياة الإنسان وفى الكون . لذلك نجد القرآن الكريم يقصر توجيه العقل الإنسانى فى النظر إلى الأمور المدركة بالحواس ، أو ما يلزم من إدراك الحواس فحسب فالآيات التى ترد فيها كلمة العقل أو مشتقاتها فى القرآن الكريم تتحدث فقط عن الليل والنهار والسموات والأرض والسفن والبحار والأمطار والنبات والدواب والرياح والسحاب والنجوم والقمر وغير ذلك من الأشياء المدركة ، ثم تتحدث عن هيئات وصفات مدركة أيضاً تتعلق بهذه الأشياء ، مثل قلب الليل والنهار ، وجرى السفن فوق الماء ، ونزول الأمطار .. الخ .

ثم يشير القرآن الكريم إلى خاصيتين اثنتين فى هذه الأشياء ، وهى هيناتها :

الخاصية الأولى : هى الفائدة التى تعود على الإنسان من استخدام هذه الأشياء مثل استخدامها للسفن ، وانتفاعها بالمياه والزروع والرياح ، ولم يقيد الإسلام الناس بطريقة خاصة فى كيفية الانتفاع بهذه الأشياء ، فلم يلزم القرآن الكريم أو الحديث الشريف الناس بأسلوب خاص فى بناء السفن أو استخراج المياه ، فهى أمور دينوية متروكة تماماً للعقل ، وقد أبدع فالإنسان فقط هو الذى يعجز عن إيجاد المادة من العدم وإلا فكيف كانت المادة الأولى التى تحولت منها المواد ومن أين جاءت ؟

من هنا يتبين لنا ان الإسلام له منهجه ومذهبه الخاص وهو لا يرفض العلم الغربى بوصفه منهجاً بل يرفض ذلك العلم بوصفه مذهباً ، يرفض عبادة العلم لكنه لا يرفض العلم

نفسه ، كما أنه لا يرفض العقل بل يرفض أن يتخذ العقل إلهاً ، وتاليه العقل يكمن في التسليم بقدرته على كل شيء ، والوثوق فيه إلى درجة العبادة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم الطائي عندما نزلت الآية ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ « ٣١ التوبة » فقال عدي : لم يعبدوهم .

قال : أمروهم فاتمروا ، ونهوههم فانتهوا .

فالطاعة العمياء الناشئة من الوثوق والتسليم ...

إن العالم الإسلامي منذ مطلع العصر الحديث مقبل بينهم على ارتشاف العلم من أوروبا ، لكنه عازف عن دياناتها ، فهذا رفاعه الطهطاوى يقول : « إن سائر الفنون العلمية التي يظهر أثرها بالتجارب معرفة هؤلاء العلماء بها ثابتة ، واتقانها عندهم لا نزاع فيه ، ولكن لهم بعض اعتقادات فلسفية خارجة عن قانون العقل » ويلخص رفاعه هذه الاعتقادات في عبارة واحدة حيث يقول : « إن الفرنساوية من الفرق التي تعتبر التحسين والتقيح العقليين » .

وما يزال رأى رفاعه هذا هو الرأى المعتقد لدى عامة العلماء المشتغلين بالطب والزراعة والهندسة في العالم الإسلامي على الرغم من تلك الوجه العاتية التي كانت تفرض المذهب الأوروبى على الحياة التشريعية والتعليمية والثقافية طيلة عهود الإستعمار وما بعدها .

واليوم يقف العالم على أعتاب عصراً جديداً بعد أن انتهت النظرية الشيوعية من الوجود ولم يبقى في العالم سوى تلك النظريتين : الغربية والإسلامية ، وفي كل منهما جوانب قوة وجوانب ضعف ، أما قوة النظرية الغربية ففي العلم الذي تملكه ، أو يملكه أصحابها ، ويكمن ضعفها في أنها قد ضحت بالأخلاق وأنها أحادية ، تنظر إلى جانب واحد من الكون . أما قوة النظرية الإسلامية فتكمن في كونها أخلاقية وتنظر إلى الكون في صورة متكاملة ويكمن ضعفها في عدم امتلاك أبنائها للعلم .

لكم النظرية المعرفية الإسلامية مرنة وتتيح لأبنائها أن يستفيدوا من المناهج العلمية الغربية كما يمكنها أن تمتص من النظرية المعرفية الغربية خير ما فيها وهو المنهج العلمى ، في الوقت الذى تقف فيه النظرية المعرفية الأوروبية صلبة جامدة إذ لا يمكنها أبداً أن تأخذ من حسنات المنهج الإسلامى لأن مقدماتها تبدأ برفض أسسه ، ولو أنها تخلت عن هذه المقدمات لذابت فيه .

وهذا هو سر الخطر الذى يشعر به قادة النظام العالمى الجديد ، ذلك الخطر الذى عبر عنه رئيس وزراء إسرائيل الأسبق أمام البرلمان الأوروبى منذ بضع سنوات بقوله : إن الأصولية الإسلامية إذا ما ارتقت إلى الحكم فى بلد إسلامى ، ثم تمكن هذا البلد من التقنية النووية فقل على الحضارة الأوروبية السلام .

عاشرا : آسيا الوسطى والقوقاز فى ظل النظام العالمى الجديد :

ويتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

أهداف النظام العالمى الجديد لجذب آسيا الوسطى والقوقاز :

يهدف النظام العالمى الجديد إلى تحقيق استراتيجية أى استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تلك الاستراتيجية التى أشرنا إليه وهى مجابهة مصالحها الاستراتيجية وبأن تكون هى القوة الشاملة ونحافظ على مصالحها فى آسيا الوسطى والقوقاز خصوصاً مصادر الطاقة سواء كان النفط - كما سبق الحديث عنه - أو الطاقة النووية ومجالاتها . بالإضافة إلى موقع آسيا الوسطى والقوقاز الاستراتيجى فى تقصى أحوال الدول المجاورة التى يهم النظام العالمى الجديد إلا تنمو حتى لا تكون منافسة وبذلك قد تضعف تكوينه لنفسه « كقوة شاملة » مثل روسيا من ناحية أو من تتبع مصالحها فى الخليج وتحركات النظم المعادية - البديلة للخطر فى نظر هذا النظام مثل الشيوعية ، الأصولية فى طاجيكستان وأفغانستان والهند والباكستان وإيران وتركيا والمنطقة نفسها .

وسائل النظام العالمى الجديد فى تطبيق استراتيجيته فى آسيا الوسطى والقوقاز :

أ - تجريد دول آسيا الوسطى والقوقاز من قدرتها النووية :

بعد استقلال دول آسيا الوسطى والقوقاز شنت الولايات المتحدة الأمريكية حملة منظمة لتجريد دول آسيا الوسطى من مقدراتها النووية وتتعاون فى ذلك مع روسيا ، فتم نقل كل الأسلحة النووية التكتيكية من قزاقستان إلى روسيا بعد اعطاء تلك الدول ضمانات بالحفاظ على تكاملها الأقليمى ففى أوائل سنة ١٩٩٢ تم نقل ٣٢٠ رأساً نووياً مصممة لكى تحملها القاذفات الأربعة ، إلى روسيا ، رغم ادراك القيادة القزاقستانية لأهمية الاستراتيجية التى يضيفها عليها امتلاك السلاح النووى ، ولخطورة امتلاك

جيرانها (روسيا والهند والصين) للأسلحة النووية ، ورغم ضغوط المعارضة القازاقستانية للاحتفاظ بالأسلحة النووية فإنها وافقت على نقل الأسلحة النووية التكتيكية إلى روسيا كما وقع الرئيس القازاقستاني نظر باييف في مايو ١٩٩٢ بروتوكول لشيونة الخاص باتفاقية ستارت وبموجبه التزمت قازاقستان بإزالة الأسلحة النووية الاستراتيجية من أراضيها بحلول عام ١٩٩٦ . وفي يوليو ١٩٩٢ صدقت قازاقستان مع بروتوكول لشبونة . كما تم نقل كل اليورانيوم المخصب الموجود لدى قازاقستان إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ - الجذب الثقافي :

كان لموقف الرئيس نظرباييف من الأسلحة النووية ومن الحد من الأسلحة النووية حسبما صرح به في خطبته في المؤتمر الأول لمنظمة «التحالف العالمي ضد الأسلحة النووية» الذي عقد في ألمانيا عاصمة قازاقستان أنه يوجه نداء للدول التي تملك السلاح النووي بتجميد التجارب الذرية التي تهدف إلى إنتاج أسلحة الدمار الشامل حتى عام ٢٠٠٥ م .

وقد صرح وزير الخارجية القازاقستانية توليوتاي سكاكوفيتش سوليموتوف ، بأنه ليس ذنبنا ان وجدت الأسلحة النووية في الأراضي القازاقية وان شعبنا يعاني حتى الآن من آثار وجود هذه الأسلحة لقد جربوا هذه الأسلحة في بلادنا ولم يسألونا ولم يسألوا شعبنا لذلك نحن لسنا في حاجة إلى الأسلحة النووية . والواقع أن هذه النظرة تنبع من سياسة الرئيس نظرباييف واتفاقاته مع الغرب في مفهوم وأهمية للأسلحة النووية لبلاده .

٣ - استخدام إسرائيل لجذب المنطقة :

ان نشاط إسرائيل في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز . يحمل وجهين ، الوجه الإسرائيلي خدمة لمصالح إسرائيل والوجه الآخر التعاون القائم بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة الأمريكية في آسيا الوسطى والقوقاز وعلى الوجه الأول نجد ان أحد الباحثين المتخصصين من العرب المقيمين في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز قد أطلق تعبير «التيار الإسرائيلي» على نشاط يهود إسرائيل في المنطقة وقد تناول في بحثه هذا «التيار» من جهة تأثير النشاط الإسرائيلي على التوجهات الإسلامية - والقومية - المعنية هناك ويحدد نشاط إسرائيل في سبع نقاط هي :

- ١ - التركيز بشكل قوى على العمل مع التوجه العام (العامى) من خلال برامج مختلفة (زراعية - اقتصادية - علمية - اجتماعية - سياسية .. الخ) .
- ٢ - إعادة اليهود المهاجرين إلى فلسطين المحتلة مرة أخرى إلى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ليشكلوا نواة التحرك الإسرائيلى فى المنطقة لعلمهم بلغة القوم وعاداتهم وتفاصيل حياتهم . وهذا بالطبع غير تهجير اليهود من آسيا الوسطى وقد كانت السلطات الإسرائيلية قامت بعملية نقل جوية مثيلة لعملية موسى التى نقلت بها اليهود والفلاشا من اثيوبيا وهى نقل ٢٠٠ ألف يهودى من آسيا الوسطى بعد أن زعم «زئيف كاتز» أستاذ شئون الاتحاد السوفيتى السابق بالجامعة العبرية ان اليهود فى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى معرضون للخطر وان على إسرائيل واليهودية العالمية انقاذهم عن طريق تنظيم عملية جوية عاجلة لنقلهم إلى إسرائيل .
- ٣ - استخدام ٧٠٠٠ (سبعة آلاف) عالم وخبير مسلم (عام ١٤١٢هـ) واعطائهم حق الإقامة الدائم فى إسرائيل للاستفادة منهم فى المعامل والمصانع .
- ٤ - استضافة كبار الشخصيات وتقديم التقنية العلمية الإسرائيلية لهم واکرامهم ثم عمل تعاقدات واتفاقيات ومعاهدات زراعية واقتصادية وعلمية وثقافية وغيرها .
- ٥ - فتح الخطوط الجوية المباشرة بين عواصم الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز وبين تل أبيب وهى من أوائل الخطوط المفتوحة .
- ٦ - إقامة المتاحف التاريخية اليهودية فى المنطقة والتى تقدم فكر وحضارة اليهود على مر العهود .
- ٧ - المبادرة إلى فتح سفارات فى معظم الجمهوريات الإسلامية .
- ٨ - استخدام تركيا لجذب المنطقة إلى النظام العالمى الجديد :

لا شك ان النظام العالمى الجديد قدم تركيا نموذجاً للبلد الشرقى المستغرب ، مستغلاً فى ذلك صلات أساسية فى العلاقة بين تركيا والجمهوريات الستة المستقلة على الأقل . لقد عبر رئيس قازاقستان باختصار فى العلاقات التى تربط تركيا بآسيا الوسطى وحصرها

فى «روابط تاريخية جذرية سواء فى العرق التركى المشترك أو الثقافة التركية المشتركة أو فى العادات والتقاليد المشتركة أو فى اللغة» فلغة آسيا الوسطى - باستثناء واحد فقط هو طاجيكسان - هى التركية وان اختلفت اللهجة فمن لغة تركية باللهجة الاوزبكية هى السائدة فى اوزبكستان أو اللغة التركية باللهجة الآذرية هى السائدة فى أذربيجان أو اللغة التركية بلهجة قيرغيزية هى السائدة فى قيرغيزستان ، أو اللغة التركية باللهجة التركمانية هى السائدة فى تركمانستان، أو اللغة التركية باللهجة القازاقية فى قازاقستان.

حادى عشر : موقف النظام العالمى الجديد مما يسمى بالخطر الإسلامى :

يتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

ثالثاً: النظام الجديد وإظهار العداء للإسلام :

لقد تأثرت مجموعة الدول الإسلامية من بين ما تأثر به باقى دول العالم ، فرغم أن هناك شعارات ارتفعت فى اطار هذا الوضع الجديد تحدد أهداف وغايات تتمثل فى : السلام والشرعية والتعاون ، إلا أن هناك مصالح ذاتية تمثل الدوافع الحقيقية ، وهى ما بين السفور وعدم الظهور .. وإن كانت لا تخفى عن المحللين والمهتمين بشئون هذا العالم الإسلامى ، فعندما نطالع ما نشرته صحيفة نيويورك تايمز فى مارس ١٩٩٢ بشأن خطة وزارة الدفاع الأمريكية ، يتضح جلياً أنها ركزت على تحديد المنافسين للوضع الجديد فقد جاء نصاً : « تأكيد استئثار الولايات المتحدة بموقع ودور القوة العظمى الوحيدة فى العالم ، ومهمتها منع أى قوة عظمى أخرى أو تكتل أو مجموعة دول أخرى لمنافستها على هذا الموقع » .

وواقع الأمر أن المحلل المدقق يمكن أن يكتشف أن المعنى بمجموعة دول أخرى هى دول العالم الإسلامى ، إذ أن القوى المهيمنة ترى انطلاقاً من الجوانب التاريخية والعقائدية والفلسفية أن الإسلام والمسلمين إنما يمثلون العدو الأول لهم . ويتضح من ذلك بجلاء ما عكسه التغير العالمى من آثار سلبية على الدول الإسلامية وبخاصة تلك التى تتسم بوجود تيار أكثر تشدداً وأصولية ولم يأت ذلك بين ليلة وضحاها فكما تعلم هناك جذور ممتدة مئات السنوات لهذا العداء ولا أكون مغالياً بالقول منذ ظهور الإسلام ، ولكن مع هذه المتغيرات والمستجدات بدأت صورة العداء تتضح بجلاء أو يكشف عنها سافرة معلنة ،

فقد ارتفعت أصوات فى الغرب بمقولات مؤداها أن الصراع بين الغرب والشيوعية طوال سبعين سنة ماضية كان بمثابة مرحلة استثنائية ، بينما الصراع الحقيقى والطبيعى هو القائم بين الحضارة الغربية من ناحية والإسلام من ناحية أخرى ، وهو صراع وإن كان قديماً إلا أنه تجدد حالياً وهم يعتبرون أن تجددته أمر طبيعى بل يعود بالأمور إلى مجراها الحقيقى والمنطقى .

ويذكر المستشرق البارون كارادى فو : «إن الخطر الكبير والعالم الذى يهدد الدولة المسيحية فى علاقاتها بالعالم الإسلام هو الإسلام فى مجموعة ، إذ أن نشوء ثورة فى وقت واحد من المغرب حتى الشرق الأقصى وإن كانت غير محتملة ، إلا أنها ممكنة فى أى وقت ودون أى علة واضحة .. وأنه يتعين شق العالم الإسلامى وكسر وحدته الأخلاقية ، وأن تستخدم لهذا الغرض الانقسامات العرقية والسياسية » .

ولقد أبدى كثير من المسئولين الغربيين فى أكثر من مرة وبخاصة أثناء أزمة الجزائر فى يناير ١٩٩٢ عن تخوفهم من المد الإسلامى ومعارضتهم لاستخدام الدين للاستعلاء على الحكم ووقف الديمقراطية . كما أنهم يتخوفون من آثار الانفجار السكانى فى البلاد الإسلامية على أمن دول أوروبية ويتخوفون كذلك من هجرات المسلمين سواء من الغرب العربى أو تركيا إليهم بل إن عدداً من الدول بدأت تسن قوانين تضمن الحد من تدفق المهاجرين إليها ، ومن الداعى للسخرية الحزينة أو الشجن المصحوب بالسخرية أن وسائل الإعلام فى معظم بلاد الغرب بدأت تستخدم ضمن رسائلها قضايا عنصرية سائدة ، ولوحظ أن المجلات التى تخصص أعداداً للنبيل من الإسلام تزداد مبيعاتها بنسبة ١٥ بالمائة وهى لا تعرض موضوعات تنال من الإسلام ولكن تحرض على العدوان على المسلمين، وهذه الصورة أوضح ما تكون بفرنسا فمنذ فترة اشتعلت النار فى أحد أماكن العبادة فى مدينة (نانت) فضلاً عما أحدثته الحملات من صعوبات اقتناء أو فتح مساجد أو أماكن للعبادة ، رغم أن البلديات وبعض الكنائس كانت فيما قبل تساعد على ذلك ، إلا أن اليوم أصبح الأمر مختلفاً .

ومن أهم ملامح بل معالم عداة الغرب للإسلام ذلك الالتقاء المتعمد بين الغرب من ناحية والصهيونية من ناحية أخرى فى تحديدهم لعدوهم المشترك وهو الإسلام ونهضته بل أن الغرب يشعر بعقدة الذنب تجاه اليهود بسبب الاضطهاد الذى مارسه النصارى ضدهم لعهود طويلة .

ولقد تزايد عدد المنظمات المسيحية الصهيونية وسوف أنهى هذه الجزئية بمقولة للقس جيري فالويل زعيم « منظمة الأغلبية الأخلاقية » عندما عبر عن رأى هذه المنظمات المسيحية الصهيونية فقال : « لا أعتقد أن فى وسع أمريكا أن تدبر ظهورها لشعب إسرائيل وتبقى فى عالم الوجود . فالرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود » .

لماذا العداء للإسلام وأى خطر يحمله ؟

هناك مسلمات لا تحتاج لتأكيد ، وحقائق لا تستلزم البرهان ولعل من أهمها وأبسطها فى نفس الوقت أن الإسلام لم يكن خطراً على أحد أفراداً أو شعوباً أو مللاً أو عقائد ولكن التواء القصد .. وتبدل الرؤى لتحقيق غايات .. استلزم الاتهام .. بل حبذ العداء والمغالاة فيه . ولعل من أبرز الأسانيد أو الحجج التى ساقها الغرب لمعاداة الإسلام :

- ١ - يرتبط بالعمل السابق عامل آخر وهو عامل من يحملون رايات الجهاد ويبعثون فى نفوس المسلمين عزيمة وحمية تدعو لحماية دينهم ووطنهم وعقائدهم ويتذكرون أمثلة تؤكد أن الإسلام بث فى المسلمين روح النهضة والمقاومة ضد المستعمر .
- فلقد تجلّت المقاومة المصرية للمستعمر على أيدى : عمر مكرم وعلماء الأزهر .
- وكانت المقاومة فى الهند وباكستان يحمل راياتها أصحاب اتجاهات إسلامية أمثال : محمد إقبال وأبو الأعلى المودودى وأبو الحسن النوى .
- وحمل لواء المقاومة الاستعمارية فى ليبيا نبع إسلامى قاده عمر المختار ومعه أحمد السنوسى مؤسس الحركة السنوسية الإسلامية .
- وكان الإسلام فى تونس هو مصدر المقاومة للمستعمرين وكما يقول شمبر : « إن العلماء المسلمين قد أضرموها ناراً حامية ، تخرج من المسجد قاذفات اللهب ، يقذف بها الشعور الدينى فى وجه المستعمر الأوروبى ، وكم لاقت السلطة الفرنسية فى الأعوام الأخيرة من ضربات خرجت من المسجد » .
- ولقد كان محمد الخامس فى المغرب يعبر عن روح الإسلام وعزيمته فى مقاومته للفرنسيين حتى أن رئيس وزراء فرنسا السابق جى موليه قال : « إن الحركة الإسلامية التى تتسع فى أفريقيا هى التى تهدد الامبراطورية الفرنسية فى المغرب » .

-- وفى حرب رمضان كانت تكبيرات المسلمين أعظم مرتكز للانتصارات على ما سمي بالقوة التى لا تقهر .

٢ - هناك ثمة اجماع لدى الغرب على أن الإسلام يمثل تهديداً للحضارة الغربية ، وهذا الفكر أو الصورة السلبية عن الإسلام تسود أكثر من غيرها ، وهى صور لا تقايل ماهية الإسلام ، وإنما تمثل ما تعتقده القطاعات المسيطرة فى تلك المجتمعات سواء أوروبا أو الولايات المتحدة عن الإسلام وربما كان لبعض الرسائل السلبية التى يرسلها العالم الإسلامى نفسه ما يدعو لتكريس هذا التحيز والأمثلة كثيرة منها حوادث اختطاف الطائرات ، والهجوم على السفارات ، كما حدث لاحتلال الطلبة لسفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى طهران ، أو الحكم الفردى السلطوى وغياب الديمقراطية فى بعض الدول الإسلامية ، واحتلال العراق للكويت ، وفتوى الخميني باعدام سلمان رشدي (دون أن يخل ذلك بجرمه وجريمته وبراءته والاستفزاز الشديد التى أصاب المسلمين فى مشاعرهم) .

٣ - ترى القوى المعادية للإسلام أن هذا الدين دين إرهاب وحرب وليس دين سلام حتى إن لفظ المسلم أصبح مرادفاً للإرهاب ، ويسوقون أمثلة على ذلك وإن حوت فى بعض منها حقائق إلا أنها تساق بصفة عامة لتشويه صورة الإسلام وهى المرتبطة بدول باكستان والسودان والجمهورية الليبية وإيران والعراق ويضيفون إلى ذلك عدم الاستقرار فى جمهوريات آسيا الوسطى حديثة الاستقلال والأحداث التى حدثت من قبل فى نيويورك (تفجير مركز التجارة العالمي) . كما أن بعض المعادين للإسلام يرون أن من أهداف حركة الصحوة الإسلامية شن الجهاد أو الحرب المقدسة ضد الغرب.

٤ - يمثل الإسلام خوفاً ورعباً لليهود والصهيانية .. وسوف أحاول فى هذه الجزئية أن أعرض فقط دون تحليل منى أقوالهم (يهوداً وغربيين) فى هذه المسألة .

٥ - إن إنتاج البلاد الإسلامية لأكثر من ٧٠ بالمائة من احتياطات البترول العالمية ، أمر يثير قلق الغرب نظراً لأهمية وحساسية البترول للأمن والصناعة والحضارة الغربية ، ويضاف إلى هذا القلق اندفاع بعض الدول الإسلامية لامتلاك أنواع متقدمة من تكنولوجيا السلاح ، سواء التقليدية أو أسلحة دمار شامل ، وبخاصة النووى ، وليس الامتلاك بالشراء فحسب بل باتجاه دول إسلامية لإنتاج أسلحة استراتيجية ، وكل ذلك يثير مخاوف الغرب بل يزيدا ، وبالتالي يحركها ضد المسلمين .

٦ - عمل انهيار الاتحاد السوفيتي واندحاره على صعود المسلمين من مرتبة العداء الثانية إلى المرتبة الأولى ، فقد كان النظام الشيوعي القائم يمثل درجة الاهتمام الأولى لدى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب وكأنه التنافس والتناحر على أشدها ، وتحضرني هنا مقولة جهر بها وزير خارجية إيطاليا بصفته رئيساً للمجلس الوزاري الأوروبي في بداية التسعينيات في إجابته على سؤال لمجلة النيوزويك الأمريكية عن مبررات بقاء حلف شمال الأطلسي بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالي والغرب الذي كان اشتراكياً . إذ أجاب موضحاً طبيعة المواجهة القادمة قائلاً : « صحيح إن المواجهة على الشيوعية لم تعد قائمة ، إلا أن ثمة مواجهة أخرى ، يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي ، وعندما سئل عن كيفية تجنب هذه المواجهة أجاب : « ينبغي أن تحل أوروبا مشاكلها ، ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولاً من جانب الآخرين في مختلف انحاء العالم . وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي ، فإن العالم سيصبح مكاناً في منتهى الخطورة ، وذلك يعني أحد أمرين أما التبعية للنموذج الحضاري الغربي وأما المواجهة الغربية الإسلامية ، وهي تلك التي ستجعل العالم «مكاناً في منتهى الخطورة» وكما أشرنا من قبل فإن أصواتاً من الغرب توصف بأنها مهيمنة على النظام الدولي الجديد أشارت بوضوح إلى أن الصراع الذي كان قائماً بين الشيوعية والغرب قد انتهى وكانت تلك مرحلة استثنائية ، بينما الصراع الحقيقي المنطقي والحقيقي هو ذلك الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية .

وكذلك فإن هناك من يغذى هذه الحملة المستعمرة ضد المسلمين سواء من المستشرقين أن المستغربين ويعملون على تسوية تاريخ الأمة الإسلامية ويستخدمون أساليب ووسائل لها طبيعة الثبات ولعل من أهمها ، كما أجتهد فيها واحصاها الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس ، ما يلي :

١ - التركيز على فترات الخلاف بين المسلمين والإسهاب في الحديث عنها ، مع الأعضاء عن الفترات التي تحمل تألقاً .

٢ - مقولة أن فترة الالتزام بالإسلام لم تتعد العصر الراشد .

٣ - محاولة إضعاف روح الإخاء الإسلامي ، وذلك باثارة مسائل عنصرية وإثنية بين العرب والبربر والفرس والأتراك .

- ٤ - محاولة الوقيعية بين العرب وباقي المسلمين ، وذلك بإثارة باقى المسلمين بإبراز مصطلحات العروبة والعرب ، والحضارة والفكر العربى وما إلى ذلك .
- ٥ - العمل على التأكيد على دور الأقليات غير المسلمة وتحركها ضد الأمة ، وذلك فى زعم باطل فإن تلك الأقليات ظلمت وانتهكت حقوقها .
- ٦ - تأصيل الكراهية لكل الدول والجماعات التى وقفت مع المسلمين ضد الزحف الصليبي مثل المماليك والأيوبيين والعثمانيين .
- ٧ - الإسهام بأن صور النهضة فى بعض الدول الإسلامية أو فى الحياة الإسلامية عامة إنما يرجع إلى الاحتلال الأوروبى ، مثل الحملة الفرنسية على مصر وبعثات محمد على إلى أوروبا ، ويصاحب ذلك التشكيك فى التراث الحضارى للمسلمين بدعوى باطلة وهى أن حضارة المسلمين نقلت من الحضارة الهيلينية ، وإن المسلمين ليس لديهم إبداع فكري ولا ابتكار حضارى وإنما كان لديهم اتباع ونقل وترجمة لحضارة غيرهم .
- ٨ - تمجيد كل أولئك الذين طعنوا الإسلام فى البلاد الإسلامية ، وعلى الجانب المضاد ، الانتقاص من قدر المجاهدين المصلحين من المسلمين بل والكيل لهم .
- ٩ - تشويه تاريخ المسلمين الحديث ، وقد كان النصيب الأكبر للدولة العثمانية من هذا الهجوم والتشويه باعتبارها ذلك البلد الذى اضطلع بالدور الأساسى فى حماية المسلمين فى القرون الخمسة الأخيرة .

يا أيها المسلمون .. ماذا أنتم فاعلون ؟

ولعل التساؤل الذى يطرح نفسه فى هذا الاطار هو : وماذا نحن فاعلون .. وكيف السبيل لمواجهة التحدى ؟

بداية نقرر أن ثمة مرتكزات أساسية يجب الانطلاق منها لدى عزمنا على مواجهة هذا التحدى ومن أهمها :

- ١ - بحث وتحديد المفاهيم المستجدة والمتغيرات الدولية المستحدثة وتحديد أبعاد وصور السيطرة والهيمنة الأمريكية . وكذلك الأدوار الأوروبية بصفة عامة .. ومحاولة معرفة هل ستطلق الولايات المتحدة لأوروبا الأمر كاملاً لإدارة الصراع ، أو فى أقصى حالات التفاؤل إدارة الحوار مع المسلمين وتنشغل هى بالصين أو اليابان ؟. أم أنها ستكون فاعلة ومشاركة فى أية حركة على الساحة الدولية .

٢ - تأصيل الأسباب الحقيقية والدوافع للعداء ، وكما تحاول أوروبا الغربية وغيرها محاصرة الإسلام والمسلمين إن جاز هذا التعبير واحتواء المسلمين لتحقيق أهدافها ، فإن المسلمين على الجانب الآخر مطالبون بالتصدي لأسباب ومقومات العداء ومحاولة مناقشته بعقلانية وبحوار علمي جاد مع كل الأطراف ، وذلك باستخدام كل ما أتاحه العلم من وسائل لازمة وتأسيساً من محددات ومنطلقات ثابتة .

٣ - تحديد أدوار إدارة الصراع ، وذلك يستلزم التعرف على الإمكانيات المتوافرة لدى المسلمين أولاً وكيفية التنسيق بينها وكيفية إدارتها في وقت الاسترخاء وعند الأزمات ، ويستلزم الأمر عند حصر الإمكانيات اضافة البعد الحضاري والقائم على تكريم بنى آدم وعدم الاكراه في الدين كما أشرنا ، وذلك يستلزم أيضاً من المسلمين الارتقاء إلى مستوى هذه القيم العقيدية والحضارية ، ذلك يضيف جهداً مطلوباً من الأمة الإسلامية وهي العملة التي قيمها .

ثانياً: دور المسلمين :

المسلمون مطالبون في كل بقاع أرض الإسلام بالحركة العلمية المدروسة وفق منهج لانتقاش فيه دون اندفاع أو تهور أو شطط أو جنوح أولاً للرد على كل ادعاءات العداء ومرتكزاتها وأسانيدھا وإبطالھا واحدة تلو الأخرى مع اسقاطھا تماماً بالاقناع الواعي لا بالأصوات المرتفعة والثروة المندحرة .. ولكن بالعقل والبرهان وفوق ذلك بالحسنى وفي هذا المجال يمكن أن أسوق بعض النماذج أو الأمثلة .

١ - إن الإسلام دين حضارة .. وقد تبلورت واكتسبت طابعها المتميز وسماتها التاريخية بعد سنين من ظهور الإسلام وجاءت محصلتها أعمالاً للقيم والحق والعدل والنفع ونهل منها أقوام كثيرون .. والحضارة الإسلامية ثابتة راسخة لم يتخل عنها أهلها كما تخلت أمم كثيرة عن حضارتها التي لم تعد صالحة لهم بفعل تغير الزمان والمكان .. ولقد انعكست الحضارة الإسلامية على العرب الذين نهلوا منها كل مشاربهم ولذا جاءت حضارة العرب متميزة بطابعها العالمي وعطائها الإنساني الذين قمثلاً في الدور الذي قامت به عندما كانت لأمتها كلمة مسموعة ودور بارز في الساحة الدولية ولا أدل على ذلك من مقارنة العرب قبل الإسلام والعرب بعد الإسلام ، فقد كان العرب

ركاماً لا قيمة لهم ولا يحسب لهم أدنى حساب فى اطار العلاقات الدولية وإذا بالإسلام يجمع هذا الركام ويولف منه كياناً جديداً له قيمة ووزن ويحى أمة كانت مواتا .

٢ - الدين الإسلامى لم يعرف تعصباً أو اكراهاً .. ﴿ لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ «البقرة ، ٢٥٦» .. ولا يقر انتشاره وسيادته بالسيف والقوة ، ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ «الكهف ، ٢٩» ، ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ «الغاشية ٢١ . ٢٢» ، ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ ﴾ «الشورى ، ٤٨» ، ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ «النحل ١٢٥» .

٣ - تأسيساً على ما سبق فإن دين الإسلام لا يعرف الإرهاب ولا سفك الدماء ، فهو دين لا غلو فيه ولا شطط .. ذلك أنه دين وسطية ، وهذا أمر ليس من عند المسلمين ولكنه تحديد من عند الله عندما قال سبحانه وتعالى : «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم» (البقرة ١٤٣) ، بينما الإنسان اليوم يحيا بين صراعين التفريط والافراط وبين التهاون والعلو ، وكلا الأمرين تطرف غير مقبول يبعد صاحبه عن وسطية الإسلام ، ولا شك أن الوسطية والاعتدال هما سمة أهل الإيمان ذلك أن وسط الشئ أفضل وأعدله .

٤ - الإسلام يعنى تماماً بحقوق الإنسان وليست الديمقراطية الغربية أسبق منه فى ذلك ، فالإسلام كرم الإنسان وأعلى قدره وجعل هذا التكريم يحكم العلاقات الاجتماعية بين الناس مهما تنوعت انتماءاتهم ومهما تفرقوا شعبياً وقبائلاً . ولقد حمل الإسلام معه تعليمات من أجل حفظ كرامة الإنسان ومنع الأذى عنه ، ولعل بداية حقوق الإنسان التى توفر له الكرامة والتكريم تبدأ من حرية الاعتقاد ، وأوضح أن الدعوة أتت فى باب التبليغ والانذار ولم تأت فى باب الاكراه والالتزام ، وتتوالى الحقوق فضمن الإسلام للإنسان ، حق الحياة ، وحرم القتل والاعتداء على حياة الآخرين . ووضع حق الحماية ويتولد عنه حق كسب الرزق دون تمييز ، وحق الملكية ، وكافة الحقوق المدنية من سياسية واقتصادية وغيرها . ولا أكون مغاليا بالقول أن هناك فارق شاسع بين حقوق الإنسان فى الإسلام وحقوق الإنسان فى اطار الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، الإسلام وضع عديداً من الضوابط لينعم الإنسان بحياته فى اطار توافر حقوقه التى تكفل له تكريمه سائر المخلوقات .

وقد تمت مدارسة ومناقشة البحوث وورقات العمل سواء فى اجتماعات لجنة التحديات الحضارية أو فى اجتماعات الأساتذة مقررى لجان التحديات بالأمانة العامة لرابطة الجامعات الإسلامية ، وقد خلصت تلك المناقشات إلى عدة توصيات نسوقها فى شقين :

- الشق الأول يتعلق بالتحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى .
- الشق الثانى يتعلق بدور الجامعات الإسلامية فى مواجهة التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى فى القرن المقبل .

التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى :

يمكن تحديد التحديات الحضارية التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن المقبل من خلال الدراسات والبحوث التى تمت تحت إشراف لجنة التحديات الحضارية ، ومن منطلق أن التحديات الحضارية تشمل المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والدينية والإعلامية ، دون أن نكرر جهود لجان التحديات الاقتصادية والسياسية والتربوية والإعلامية والتكنولوجية .

وهذه التحديات الحضارية تتمثل فى :

أولاً : الأمية المتفشية بين المسلمين ، وليس المقصود بالأمية الجهل بالقراءة والكتابة فقط بل نعنى بها الأمية الشاملة المتمثلة فى الجهل بالكثير من أمور الدين الإسلامى ، وفى الجهل بالواجبات قبل الحقوق ، وفى الجهل بالأمور السياسية والعلاقات الاجتماعية السليمة وبالتواشى الاقتصادية اللازمة للمسلمين .

ثانياً : الحكم فى كثير من البلاد الإسلامية بغير الشورى الإسلامية بما يحرم أهالى تلك البلاد من المشاركة الحقيقية فى حكم أنفسهم ، ورغم أن هذه البلاد تدعى أن حكمها يقوم على الديمقراطية الغربية ولكنها ديمقراطية مزيفة لأن الشورى الإسلامية لها أسسها وقواعدها المختلفة عن الديمقراطية الغربية .

ثالثاً : التخلف الثقافى المتفشى بين معظم المسلمين فى البلاد النامية حيث يسود التواكل والسلبية واللامبالاة ، وعدم الاهتمام بمتابعة الأحداث بالقراءة والاطلاع على كل

جديد فى العلم ومتابعة المخترعات الحديثة والاستفادة منها والتمسك بالأمثال القديمة المثبطة للهمة مثل : « لا تفكر ووراءها مدير » و « أصرف ما فى الجيب بأتيك ما فى الغيب » .

رابعاً ، الصراع بين الدول الإسلامية صراعاً مسلحاً ، والصراع بين المسلمين فى بعض البلاد الإسلامية ، كالصراع بين المغرب وسكان الصحراء الغربية ، والقتال بين أبناء الصومال وبين أبناء أفغانستان وبين العراق وكل من إيران والكويت ، والخلافات الحدودية بين بعض الدول الإسلامية ، وما تتعرض له بعض البلاد الإسلامية من عدوان كالشيشان والبوسنة والهرسك ، إلى جانب ما تلاقيه الأقليات الإسلامية فى الفلبين وغيرها من اضطهاد .. وكل ذلك يشغل المسلمين عن نفذ التخليف الحضارى .

خامساً : الفقر ، الذى يصيب الكثير من أبناء العالم الإسلامى فيخضعون لضغوط خارجية تشغلهم عن التحرر فى إتخاذ القرارات المصيرية ، بل ويشغلهم البحث عن الرزق عن البناء الحضارى الإسلامى ، ويصبحون كما يقول المثل « جوع كليك يتبعك » . والقوى الكبرى التى تقدم المساعدات للفقراء تفرض عليهم حياة ثقافية واجتماعية وتوجيهات سياسية تتمشى مع مصالحها وليس مصلحة الشعوب الإسلامية الفقيرة .

سادساً : انتهاء القطبية الثنائية التى سادت أثناء الحرب الباردة بين المعسكر الغربى بزعماء الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشرقى بزعماء الاتحاد السوفيتى ، وظهور النظام العالمى الجديد بزعماء الولايات المتحدة الأمريكية المهيمنة على العالم دون منافس ، وهذا النظام العالمى الجديد لا يراعى مصلحة الدول الإسلامية مما يمثل تحدياً للعالم الإسلامى . ومع ذلك تظهر الآن وتقوى عدد من النظم الإقليمية العالمية مثل الاتحاد الأوروبى ، والنمور الآسيوية ، ومجموعة دول الآسيان وغيرها .

سابعاً : القبول العالمى لفكرة اقتصاديات السوق وحرية المبادلات الدولية مما يمثل تحدياً للدول الإسلامية التى مازالت تطبق اتجاهات اشتراكية ونظماً شمولية .

ثامناً : الفقرة بين دول العالم الإسلامى ، حيث تعيش كل دولة فى اطارها بدعوى المحافظة على استقلالها بعيداً عن تدخل الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية فى أمورها الداخلية ، وللأسف نجد مثل هذه الدول تتفتح على العالم غير الإسلامى وتتعامل معه ثقافياً واقتصادياً أكثر من انفتاحها على دول العالم الإسلامى .

تاسعاً ، سيطرة القوى العالمية على مصادر ثروة كثير من البلاد الإسلامية بل ووضع أنصبتها من النفط مثلاً فى مصارف هذه القوى العالمية ويعملاتها مما يحرم البلاد الإسلامية صاحبة الثروة من التصرف فى هذه الأموال دون موافقة القوى الكبرى المتحكمة .

عاشراً ، نظرة بعض القوى العالمية إلى الإسلام على أنه عدو للمصالح الاحتكارية العالمية ، وأن الإسلام أصبح عدواً للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتى بنظامه الاشتراكى . والربط بين الإرهاب فى العالم وبين الإسلام .

ملحوظة :

يجب أن نقرر أن التحديات الحضارية تشمل جميع التحديات التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن هنا كان لابد من الإشارة إشارات سريعة لهذه النواحي ، ولكننا فى تركيزنا على التحديات الحضارية نفصل فى النواحي الحضارية الخالصة .

ذكرنا ذلك حتى لا يكون اعتقاد بتكرار بين عمل لجنة التحديات الحضارية واللجان الأخرى .

والله ولى التوفيق ..